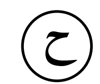
إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

اللغة العربية
بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء!

الدكتور
عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار النحوي
للنشر والتوزيع

 دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي ، عدنان علي رضا محمد

اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء !

عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي - الرياض ١٤٢٨هـ

١٤٧ص ١٧ × ٢٤ سم

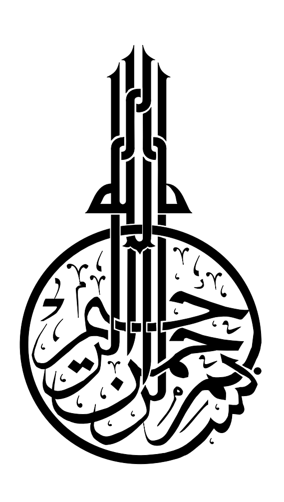
ردمك : ٣-١-٩٩١٣-٩٩٦٠-٩٧٨

١- اللغة العربية . أ - العنوان

ديوي ٤١٠ ١٤٢٨/٤٧٩٠

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٤٧٩٠

ردمك : ٣-١-٩٩١٣-٩٩٦٠-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م



دار النحوي للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢
موقع الانترنت : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com
ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية



يهـدف هذا الموقع إلى المساهمـة مع المواقع الإسـلاميـة الأخرى وجهـود العـاملين إلى بناء الجيل المؤمن وبناء الأمة المسلمة الواحدة التي تكون فيها :

كلمـة الله هــي العليـا

نـأمل التلطف بزيارة هـذا الموقـع وإبداء مــــلاحظـاتكـم ونصائحكم على البريد الإلكتروني :

info@alnahwi.com

كما يسرنا دعوة إخوانكم وأصدقائكم لزيارة الموقع .



الإهـــــــــداء

* إلى أبناء اللغة العربيـة الذين هم المسلمون في الأرض كلهـا ليـفـزعـوا إلى لغـتـهـم الأصـيلة ، لغـة ديـنـهم وقرآنهم وسنّة نبـيّـهم ، ليفزعوا وينهضوا ليدرسوها ويتـقنوها ويدافعوا عنها ، حتى يعزّهم الله بعزّة دينه ولغته .

* إلى كل مسلم ما زالت فيه حميّة الإيمان والتوحيد ، والغضبة لله ورسوله ودين الإسلام ولغته .

* اللغـة العربيـة بالنسبـة للمسلمين قـوة عظيـمـة من قواهم وسلاح من أسلحتهم :

انهضوا أيها المسلمون !

افزعوا إلى دينكم ولغته ولغتكم !

الافـتـتــاح

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾

[الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرعد: ٣٧]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨]

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال :

(إنَّ أول مَنْ فُتِقَ لسانه بالعربيّة المبيَّنة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة) .(١)

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : (٢٥٨١).

مع نهـج
مدرسة لقاء المؤمنين ومناهجها
(انهضوا إلى الدعوة والبلاغ واجهروا بها)

نهاية كل إنسان هي الموت ثم الساعة والبعث والحساب ، ثم إلى جنة أو إلى نار ، لا مفر من ذلك ! فأعدّ نفسك أيها المسلم لهذا الموقف عسى أن تنجو من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة . ولقد منّ الله على عباده بما أنزله على عبده محمد ﷺ منهاجاً ربانياً متكاملاً فيه النجاة كلها لمن أرادها ، وبيان للصراط المستقيم ، وللتكاليف الربانية بتكاملها .

ومن أجل ذلك نقدّم نهج مدرسة لقاء المؤمنين ومناهجها ليعين على صدق الالتزام بالتكاليف الربَّانيَّة ، كما هو مبين فيه . ونشير هنا إلى أهم القضايا التي يجب أن يعيها كل مسلم لتكون أساساً لإيمانه وثمرة من ثمراته ، ولأهم تكاليفه الربانيّة . إنها تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة وتعهّدهم عليها : إنها جوهر العبادة والأمانة والخلافة والعمارة، حتى تكون كلمة الله هي العليا . إنها المهمة التي خُلِقَ الإنسان للوفاء بها في الحياة الدنيا .

* * * * *

من أسس الإيمان والتوحيد
ومن ثمـاره

(١)

أن يكون الولاء الأول عند المسلم هو لله وحده ، وعهده الأول مع الله وحده ، وحبه الأكبر هو لله ورسوله . ومن الولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر تنشأ أخوة الإيمان التي أمر الله بها ، وبغير ذلك لا تنشأ أخوّة الإيمان وإنما تنشأ عصبيات جاهلية حرّمها الله ورسوله .

ولتحقيق ذلك لا بد من مصاحبة منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ ، تلاوة وتدبراً وحفظاً ومراجعة ، صحبة منهجية ، صحبة عمر وحياة لا تتوقف . ويمكن أن يتمّ هذا من خلال نظرية المنهاج الفردي ، ونظرية منهج لقاء المؤمنين ، والخطة اليومية والأسبوعية والسنوية ، وميزان المؤمن ، والتقويم الدوري بأنواعه ، والوقفات الإيمانية ، وسائر قواعد نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ، والتزام ذلك التزاماً دقيقاً .

* * * * *

(٢)

تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أنزلت على محمد ﷺ ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ، وتعهّدهم عليها من خلال نهج مدرسة لقاء المؤمنين ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض . وهذا التبليغ فرض على كل مسلم قادر تزوّد بالزاد الحق من الإيمان والتوحيد وصفائه ، ومن العلم بمنهاج الله وصدقه ، ووعي الواقع من خلال منهاج الله ، لينمو الزاد مع الممارسة والخبرة .

* * * * *

وتدبّرْ هذه الآيات الكريمة التي تدعو إلى تبليغ رسالة الله وتعهد الناس عليها :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف: ١٠٨]

* * * * *

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

* * * * *

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) ﴾ [المائدة: ٦٨]

* * * * *

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ [النحل: ١٢٥]

* * * * *

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصلت: ٣٣]

* * * * *

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) ﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣]

* * * * *

﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾ [الجن: ٢٨]

* * * * *

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٥٢) ﴾ [إبراهيم: ٥٢]

* * * * *

﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) ﴾ [يس: ١٧]

* * * * *

وفي الأحاديث الشريفة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال :

(بلّغــوا عنِّــي ولو آيــة ....)[1]

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أيها المسلم انهض للوفاء بالمهمة التي خُلقْتَ للوفاء بَها وبلغ رسالة الله إلى الناس كافة بلاغاً منهجيّاً وتعهّدهم عليها من خَلال منهج لقاء المؤمنين .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

اجهروا بالدعوة إلى نهج مدرسة لقاء المؤمنين

بوضوح وإيمان وأمانة ، وجرأة وعزيمة وصدق ويقين،

فإنه بلاغ لرسالة الله ودينه ووفاء بالأمانة ونصرة لدين الله !

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

اجهروا بالدعوة والبلاغ ، والتعهد والتربية والبناء ، وانهضوا إلى ذلك .

وأعدوا الجيل المؤمن الذي يتابع تبليغ الرسالة مع الدهر كله .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

اجهروا واصدقوا الله ولا يَفْتِنَنَّكُمْ عن هذه

المهمة العظيمة شيء أبداً

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(٣)

إن الدعوة الإسلامية تقوم من حيث الأساس لتبليغ رسالة الله إلى الناس كافة وتعهدهم عليها ، كما ذكرنا أعلاه . فإذا لم تقم الدعوة بالتبليغ والتعهد وتمضي

---

(١) رواه أحمد والبخاري والترمذي ، صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : (٢٨٣٧) .

بذلك حتى تكون كلمة الله هي العليا ، فما هو مسوغ قيامها بعد ذلك ؟!
فلْيُحَاسِبْ كلُّ مسلم نفسه .

* * * * *

(٤)

العصبيات الجاهلية

إنَّ من أهم ما حرّم الله ورسوله العصبيات الجاهلية التي تمزّق الناس ، والتي هي معصية وفتنة كبيرة ، ومن أخطرها :

*** عصبية الإنسان لنفسه على غير حق ودعماً للباطل .**

*** العصبية العائلية على غير حق ودعماً للباطل .**

*** العصبية الحزبيّة على غير حق ودعماً للباطل .**

*** العصبية القومية والإقليمية والوطنية على غير حق ودعماً للباطل .**

* * * * *

(٥)

ومما حرّم الإسلام كذلك :

إيثار الدنيا على الآخرة .

﴿ **الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ** ﴿٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣]

أيها الإخوة اطلبوا الدار الآخرة واصدقوا الله في كل عملكم واذكروا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في تهوين أمر الدنيا حتى إنها لا تعادل عند الله جناح بعوضة .

* * * * *

كلمـات مضـيئـة

للدكتور عدنان علي رضا النحوي

بنــاء الإنســان

إن بناء عـمارة مـهـما عظمت يسـهل إذا قيس ببناء الإنسـان على قواعـد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهاج الرباني . فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون ، أما بنــاء الإنســـان وإعداده وتدريبه فـهي مـهـمة بعث الله من أجلهـا الرسل والأنبيـاء الذين خُتموا بمحمد ﷺ ، ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن ، على أَسَاس من المنهاج الربّاني - قرآنا وسنة ولغة عربيّة -.

* * *

حـقُّ التعـاون
بين المؤمنين ووجوبه

يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله أن نختلف فيه .

* * *

خافوا على أنفسكم

أيهـا النــاس ! أيهـا المسلمـون ! أيهـا الدعـاة ! كـمـا تظـهـرون الخـوف على الإسـلام ، مع أنَّ للإسلام ربّاً سينصره بجنود ينصرون الله ربهم ويوفـون بعهدهم معـه ، فخافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله، يسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نـصرتم الله كـما أمركم وتجنبْـتُم الفتن التي نهـاكم عنهـا ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا ؟ ! خافوا على أنفسكم كما تخافون على الإسلام .

* * *

إِذا غاب النهج والتخطيط

إذا غاب النهج والتخطيط على أساس الإيمان والتوحيد والمنهاج الرباني في واقع أيّ أمّة ، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضج بها ولا تجد لها رصيداً في الواقع إلا مرارة الهزائم وتناقض الجهود واضطراب الخطا ، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثم الخدر يسري في العروق ، ثم الشلل ، ثم الاستسلام !

❋ ❋ ❋

فـريقــان
فريق له نهجه وخطته وفريق لانهج له ولا خطة

إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ، فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا الشعارات يُدَوِّي بها ، فإن الفريق الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحوِّل جهود الفريق الثاني لصالحه ، فيجني النصر ، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .

❋ ❋ ❋

الأهداف الربانية وتحقيقها

إن الأهداف الربانيـة لا يمكن تحقيقها إلا بجنود ربانيين ووسائل وأساليب ربانية . وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد رباني .

❋ ❋ ❋

العــاجــز

من عَجَزَ عن إصلاح نفسه فهو أعجز عن إصلاح غيره أو إصلاح المجتمع . كم من الذين ينادون بالإصلاح والتغيير هم أحوج الناس إلى الإصَلاح .

❋ ❋ ❋

تَقبُّل النصيحة

من سدَّ أذنيه عن النصيحة فَقَدَ فرصة عظيمة لمعرفة أخطائه ، وفرصة أعظم لمعرفة سبيل الإصلاح والعلاج ، وتعرَّض أكثر للمتاهة والضلال .

* * *

اتباع الحقِّ لا الهوى

إن الهوى لا يُصْلِحُ بل يفسد ويدمِّر ، وإن اتّباع الحق هو سبيل الإصلاح للفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وكذلك للبشرية كلها .

* * *

من صدق الله نجا

بين الحق والهوى باب ابتلاء وتمحيص . من صدق الله نجا ودخل إلى الحق ، ومن ضلَّ هلك ودخل إلى الهوى .

* * *

تكامل الإسلام وتكامل الدعوة إليه

ليس من الحكمة أن نكتفي بإعلان مبادئ الرحمة والعفو والتسامح والسلام في الإسلام ، حين يكون مثل هذا الإعلان مظهراً من مظاهر الضعف والهوان والاستسلام أو يوحي به . ولكن الحكمة والواجب أن نُظْهِرَ تكامل الإسلام من عفو وتسامح ، ومن عقوبة وحزم ، ومن سلام وحرب ، ومن حكمة وتشريع ، ومن إيمان وتوحيد .

* * *

أيـن تبتـدىء المعركـة

إن المعركـة مع أعداء الله تبتدئ أولاً في نفسك أيها الداعية المسلم ، فإن انتصرت بها ، فيمكن الانتقال إلى جولة بعد جولة ! وإن هزمت بها فستُهزَم في سائر المعارك ! وتظل هذه المعركة ممتدَّة مع المسلم حياته كلها حتى يلقى الله .

* * *

الانحراف عن الصراط المستقيم

إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل صراطه الحقَّ مستقيماً، حتى لا يَضلَّ عنه أحد. وجعله سبيلاً واحداً حتى لا يُخْتَلَفَ عليه، وجعله صراطاً مستقيماً ليَجمع المؤمنين أُمَّةً واحدة وصفّاً كالبنيان المرصوص.فلماذا تاه المسلمون عنه فتَفَرَّقوا، واختلفوا عليه فتَمزَّقوا، ثمَّ ضَعُفُوا وهانوا ؟!

* * *

حتى يفيقوا أو يهلكوا

وكلَّما توانى المؤمنون عن الوفاء بالعهد والتزام الحقِّ والدعوة الصافية في صفٍّ واحد كالبنيان المرصوص ، أنزل الله بهم البلاء والعقاب والعذاب ، حتى يستيقظوا أو يهلكوا .

* * *

أخـوة الإيمــان
عاطفة ومسؤوليات

إن أُخوّة الإيمان ليست عاطفة فحسب ، ولكنَّها مسؤوليات وواجبات ، وحقوق والتزام ، لاتسقط حتى لو تغيَّرت العاطفة . إنَّها رابطة المؤمنين في الأرض جميعاً ، رابطة يجب الوفاء بها . إنها رابطة ربَّانيّة أمر الله بها المؤمنين جميعاً ، حتى يكون الولاء الأوَّل لله ، والعهد الأوَّل مع الله ، والحب الأكبر لله ورسوله . وبغير ذلك لاتتحققُ أخوة الإيمان .

* * *

لو حقق المسلمون

أخـوّة الإيمان فـي واقعهـم

لو أنَّ المسلمين حققوا في واقعهم "**أُخوة الإيمان** " كما أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ لأنزل الله نصره عليهم ولسادوا العالم ! ولأعزّ الله الجميع !

* * *

أخوة الإيمان
والولاء الأول لله
والعهد الأول مع الله وحده
والحبّ الأكبر لله ولرسوله.

لاتصدق أخوّة الإيمان في ميدان الممارسة والتطبيق إلاّ إذا كان الولاء الأول لله وحده دون شرك ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحُبُّ الأكبر لله ولرسوله ، ثمَّ يَنبع كلُّ ولاء وعهد وحبٍّ في الحياة الدنيا من الولاء الأوّل والعهد الأول والحبّ الأكبر .

* * *

كلمـة المـؤمـن
صـادقـة طيبـة

كلمة المؤمن طيّبة ، قويّة ، واعية ، لاتنحرف عن الصراط المستقيم . إنها بركةٌ للناس ، ونورٌ في الحياة ، وسلاح في الميدان . وهي أساس حرّيّة الرأي ، وأساس النصيحة ، وقاعدة الشورى .

* * *

الخلل فينا والأخطاء منَّا

لايختلف مؤمنان في أنّ كلّ مايجري في الكون والحياة ، من أمر صغير أو كبير ، هو بقضاء الله وقدره : قضاء نافذ ، وقدر غالب ، وحكمة بالغة ، وحقٌّ لا ظلم معه أبداً . ومن هنا وجب علينا شرعًا أن ننظر في أنفسنا ، في واقعنا ، فالخلل فينا ، والأخطاء منا ، والتقصير جلي كبير ! .

* * *

أيهـا المسلـم !
إنَّك مسؤول ومحاسَب

إنك مسؤول أيها المسلم ، وإنك محاسَب ، ولايغرنَّك أن تقول لنفسك إنَّ المسؤولين هم العلماء والدعاة وحدهم . نعم إنهم مسؤولون ومحاسَبون وإنك مسؤول ومحاسَب . ولاتنفع الندامة والحسرة يوم القيامة ! فانهض إلى مسؤوليَّتك أيها المسلم .

* * *

منهاج الله ودراسته
وتدبّره وممارسته في واقع الحياة

أيها المسلم ! لاتكن كالميت بهجرك دراسة منهاج الله وتدبّره وممارسته في واقع الحياة ، فاطلب الحياة والنور ، والهداية والفلاح بذلك ، والقاعدة لذلك :

* أَن تكون دراسة منهاج الله – قرآناً وسنة ولغة عربية – منهجيّة يوميًّا.

* وأن تكون صحبة عمر وحياة لاتتوقف أبداً ، حتى يلقى المسلم ربّه !

* أن يتدرَّب المسلم على رد الواقع بأحداثه وأفكاره إلى منهاج الله ردّاً أميناً ، ليصاحب ذلك دراسة منهاج الله .

* * *

التَزِمْ النَّهج الإيماني للتفكير

أخي الكريم ! أيها المسلم ! إن الله سبحانه وتعالى خلقنا على فطرة سليمة ، ووهبنا القدرة على التفكير ، فأول مانطلبه ونوصي به هو أن نُفكّر ، أن نفكر التفكير الإيماني ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكير على نهجٍ إيمانيٍّ ونور وهداية بآيات كثيرة .

* * *

الفقه في الإسلام

الفقه في الإسلام يقوم على ركنين : المنهاج الرباني - قرآنا وسنة ولغة عربيّة - ، والواقع . فلا يوجد فقه خاص يسمى "**فقه الواقع**" ، فالفقه كله قائم على الواقع والمنهاج الرباني .

* * *

الفقه وامتداده وحدوده

كل مسلم مكلّف أن يجتهد فيما هو ضمن مسؤوليته الشرعية وحدود اختصاصه ووسعه وعلمه ، مما سيحاسَب هو عليه يوم القيامة ، دون أن تتعطل الاستعانة بإمكانات المجتمع ، أو الشورى ، على أن يهيّء المسلم نفسه للمسؤوليات المكلَّف بها ، ويتزوّد لها بالزاد الحق .

* * *

المسؤوليّة والفقه

لافقه دون وفاء بالمسؤولية ، ولا وفاء بالمسؤوليّة دون فقه .

المـــقـدمـــة

نقدِّمُ هذا الكتاب : " **اللغة العَربيَّة بين مكر أعدائها وجفاء أبنائها** " محاولة جادة لإثارة هذه القضيّة الخطيرة التي تمسُّ حقيقة الإسلام وواقع المسلمين .

لا نخاف على مستقبل اللغة العربية ولا على مستقبل الإسلام ، فالله قد تعهد بحفظ كتابه الكريم رسالة ولغة :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]

إنَّما نخاف على أنفسنا ، على المنتسبين إلى الإسلام ، على أبناء اللغة العربية، حين يقف الجميع بين يدي الله سيحاسَبون على تقصيرهم في حماية اللغة العربية ونصرتها وحماية دينهم ونصرته ، هذا بالإضافة إلى ما يمسُّهم من عذاب الله وعقابه في الحياة الدنيا قبل الآخرة :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: ٢١]

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٥]

إنَّ معركة الإسلام ممتدة في الأرض والزمن لن تتوقف ، ذلك لأن أعداء الله مصرُّون على نشر فسادهم وضلالهم ، ينفقون أموالهم بسخاء لنشر الفتنة والفساد في الأرض ، ومن ناحية أخرى لأن الإسلام مصرٌّ على نشر الحق والصلاح والدعوة إلى الله ورسوله ، ما وجد جنوده المؤمنين المتقين الصادقين الذين يطلبون الدار الآخرة ويؤثرونها على الدنيا .

واللغة العربية ، لسان الإسلام والمسلم ، لسان الحق في هذه الحياة الدنيا ، لسان الدعوة الإسلامية في الأرض ، فمعركتها تمثل جزءاً رئيساً من معركة الإسلام .

ولقد أدرك أعداء الله هذه الحقائق كلها ، فرسموا نهجهم الشيطاني ، ومكروا مكرهم العميق ، وكادوا كيدهم الشديد ضد اللغة العربية وضد القرآن الكريم ، يبذلون جهودهم الشيطانية ليبعدوا المسلم عن لغته العربية ، فيبعدوه عن كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ .

والذي يجب أن نشير إليه هو أنَّ هؤلاء المجرمين لا يعملون ارتجالا ولا يكتفون برفع شعار ، وإنما يرسمون خطة ونهجاً ، ويتَّبعُون مراحل وأحوالاً ، فيصيبون بذلك قدراً من النجاح غير قليل على قدر منَ الله غالب وقضاء نافذ وحكمة بالغة .

إنهم يستغلون في مكرهم الشيطاني كل الأسباب المادية التي هي بين أيدهم، من علم مادي ، وسلاح قوي ، وسائل الفتنة والإغراء والتخدير ، مع بذل وإصرار وصبر .

والمؤمنون أحق أن يتفوّقوا بنهجهم وتخطيطهم ، والاستفادة من جميع الإمكانات العظيمة التي يسّرها الله لهم ، وفوق ذلك كله من وعد الله لهم بالنصر إن استقاموا على الصراط المستقيم الذي بيّنه الله لنا وفصّله ، وأمرنا باتباعه ، وإن كانوا أمة واحدة وصفّاً واحداً كالبنيان المرصوص .

إنَّ أي إخلال بهذين الشرطين يفقدهم نصرة الله وعونه ، ويصبحون مثل أعدائهم يتنافسون القوة المادية وحدها معزولة عن صدق الإيمان والتوحيد والدار الآخرة ، وقد يُصْبحون من الظالمين ، لتمضي عليهم سنَّة الله في ذلك :

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

إنَّ مفتاح النصر في معركة اللغة العربية ومعركة الإسلام هي الصدق مع الله والتزام دينه وشرعه ، والانطلاق في الأرض دعوة وبلاغاً وبياناً ، لتبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنْزلت على محمد ﷺ وتعهّدهم عليها ، حتى تكون كلمة الله هي العليا .

إنَّ اللغة العربية قوة عظيمة في ميدان الدعوة الربانية ، وسبّب من أسباب النصر . والدعوة الإسلامية قوة للّغة العربية . فإن ضعفت اللغة العربية بين المسلمين يضعف سلاح هام من أسلحتهم في الميدان ، ويفقدون سبباً من أسباب النصر . كيف لا ؟! وكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ لا يُفهَمان أبداً إلا باللغة العربية ، ولا تتفتح المعاني والظلال إلا بها ، وبصدق الإيمان والتوحيد وصفائهما . مفتاحان يسَّر الله بهما الذكر لعباده جميعاً :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧]

مفتاحان يسر الله بهما الكتاب والسنَّة . وهذان المفتاحان هما اللغة العربية والإيمان الصادق . مفتاحان لا يغني أحدهما عن الآخر ، ومفتاحان متلازمان ، لو فقد أحدهما ذهب التيسير .

إنها مسؤولية كل مسلم أن ينهض إلى ما كلّفه الله وما أمره به . إنها مسؤولية كل مسلم حتى تستطيع الأمة كلها أن توفي بمسؤولياتها .

وإنَّ أساس توعية المسلم اليوم هو أن يدرك أن الله خلقه للوفاء بمهمة عظيمة في الحياة الدنيا ، يتميز بها المؤمن من غيره من خلق الله الذين يكونون هملاً في الحياة الدنيا يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

المؤمن هو الإنسان الذي يشعر ويؤمن بأنه يحمل رسالة ربانية خلقه الله للوفاء بها . وهذه المهمة تجتمع من خلال جميع صورها لتكون تبليغ رسالة الله إلى الناس كافَّة كما أُنْزلت على محمد ﷺ وتعهّدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا ، فأولئك جزاؤهم الجنَّة تجري من تحتها الأنهار :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢]

أيها المسلم المؤمن التقي ! انهض إلى رسالتك ودينك ، وإلى اللغة العربية تتقنها لتكون لغتك الأولى تعزّها وتعزّك !

اللهم تقبل منا عملنا هذا خالصاً لوجهك الكريم غنيّاً بعونك وفضلك ، نديّاً برحمتك ، قويّاً بهدايتك .

والحمد لله رب العالمين

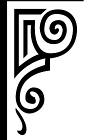
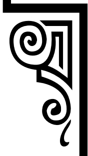
عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي

الرياض : الجمعة

٥ رجب ١٤٢٨هـ

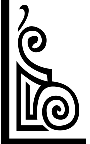
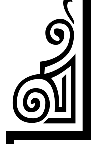
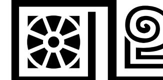
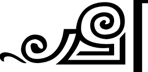
٢٠ يوليو ٢٠٠٧م



الباب الأول

اللغة العربية في تاريخها ومسيرتها الربانية


الفصل الأول
لمحة موجزة عن تاريخ اللغة العربية

يبدو أنَّ البحث والتنقيب عن تاريخ اللغة العربية لم يبدأ إلا من عهد قريب نسبياً . لقد بدأ المستشرقون أولاً في ذلك قبل العرب أنفسهم وقبل المسلمين . وربما جاء المستشرقون بحوافز متعددة ، وطافوا الأرض العربيّة ونقّبوا عن آثار اللغة العربية ونقوشها ، فأخذوا ما أخذوا وصوّروا ما صوّروا ونشروا دراساتهم وأبحاثهم في كتب أو في مجلات الاستشراق .

فلقد زار جنوب الجزيرة العربيّة المستشرق الدانمركي " كارستن نيبور " سنة ١٧٦١م ، وجاء الفرنسي : " جوزيف توماس آرنود " سنة ١٨٤٣م ، والفرنسي "جوزيف هاليفي " سنة ١٨٦٩م ، والنمساوي " إدوارد جلازر " سنة ١٨٨٢م . وزار شمال الجزيرة العربية البريطاني " تشارلز دوتي " سنة ١٨٧٧م ، والفرنسي " تشارلز هوبر " سنة ١٨٨٤م ، والفرنسيان " جوسن " و" سافيناك " سنة ١٩٠٧م ، والإنجليزي " أويس موسل " سنة ١٩١٠م .

وتوالى المستشرقون القادمون تحت هذا الهدف المعلن ، ونشطت الجامعات، مثل جامعة " هوبكنز " الأمريكية ، ومعهد " سميشونيان " بواشنطن ، وجامعة تورنتو وجامعة لندن ومتحف " أرهاس " الدانمركي ، وكلٌّ ذلك كان في الستينيات من القرن العشرين .(١)

وقامت جامعة القاهرة كذلك خلال الستينيات من القرن الماضي بنشاط كريم في هذا الشأن ، وأصدرت عدداً من النشرات عن النقوش المعينيَّة والسبئيَّة .

وصدر للمستشرق الإيطالي " إغناطيوس غويدي " كتابٌ سنة ١٩٣٤م ، بعنوان : " المختصر في لغة حمير " . وصدر لأحمد حسين شرف الدين كتاب عن

(١) انظر: اللغة العربية في عصور ماقبل الإسلام " ص : (٢٧-٢٩) لأحمد حسين شرف الدين .

لغة " المسْند " سنة ١٩٦٨م ، ثمَّ صدرت له كتب أخرى حول هذه الموضوعات مثل كتاب " اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام " .

وكان القنصل الألماني في سوريا " ج ويتزتن " أول من اكتشف نقوش اللغة الصفوية سنة ١٨٥٨م جنوب شرق دمشق ، ثمَّ درسها وكتب عنها العالم البلجيكي " ريني دوسود " في كتابه : " العرب في سوريا قبل الإسلام " (١)

ومن هنا نرى مدى امتداد نشاط رجال السلك السياسي في أرض الإسلام ، مما ظهر وأُعْلن ، خلاف ما كان يُطْوى في أمواج الفتن والتآمر . نقول هذا ليدرك كل مسلم مدى مسؤوليته التي سيحاسَب عليها بين يدي الله ، مسؤوليته عن دينه ولغة دينه .

ثمَّ أخذت الأبحاث تتوالى والدراسات تمتدُّ ، والحفريات عن التاريخ تزداد في أرض الإسلام ، بحثاً عن أشياء كثيرة !

تُعْتبر لغة " المسند " وهي إحدى اللغات السامية ، اللغة الأصلية في الجزيرة العربية . واللغات السامية هي : " الكنعانية والآرامية والأثيوبية والكوشية والأكادية " .

وتعتبر اللغة العربية الفصحى فرعاً من لغة المسند . وقد ازدهر هذا الفرع ونما واشتدَّ خلال القرون الثلاثة قبل بعثة محمد ﷺ (٢)

لقد نمت اللغة العربية ونضجتْ في أرضها ، تُرْوى بمائها ، وتهتزّ بنسيمها، ويمضي بها أبناؤها . لم تَنْمُ اللغة العربية في أجواء لغات أخرى كاليونانية وغيرها . لقد عرفت اللغة العربية قواعدها صافية منذ بكور نشأتها، وعرفت نحوها وصرفها كذلك في أجوائها النقية .

فقد عرفت المفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، وضمائر الغائب والمتكلم

---

(١) انظر : " اللغة العربية في عصور ماقبل الإسلام " ص : (٦٥) لأحمد حسين شرف الدين .
(٢) المصدر السابق ، ص : (٣٢) .

والمخاطب ، واسم الإشارة والاسم الموصول ، والاسم المعرف بالألف واللام ، والضمير المتصل والضمير المنفصل وأنواعهما ، واسم الزمان واسم المكان ، والنعت والأعداد والمجرّد من الأفعال والمزيد ، وكثير غير ذلك (١)

وللغة المسند لهجات في الجزيرة العربية نوجزها بما يلي :(٢)

١ـ لهجات جنوب الجزيرة العربية :

أ ـ لهجة المعينية : لهجة شعب منطقة الجوف باليمن قبل القرن (١٥) ق . م .

ب ـ اللهجة السبئية : لهجة شعب شرق اليمن ما بين القرنين ١٥ قبل الميلاد ـ ٥ بعد الميلاد .

ج ـ اللهجة الحضرميَّة : لهجة شعب جنوب شرق الجزيرة العربية وما زال هذا الشعب يسكنها .

د ـ اللهجة القتبانيَّة : لهجة الشعب القتباني الذي كان يسكن منطقة شرق اليمن التي تعرف اليوم بـ" بيحان " .

٢ـ لهجات شمال الجزيرة العربية :

أ ـ المعينيّة الشمالية : لهجة الشعب الذي نزح من جنوب اليمن في عصور مبكرة واستوطن واحة الدادان التي تسمّى حالياً " العلاء " .

ب ـ الدادانيّة : لهجة مملكة عربية قديمة قامت بالعلاء ، شمال غربي الجزيرة العربية . وقد نشأت قبل القرن السادس .

ج ـ اللحيانيّة : لهجة شعب اللحياني الذي كان يسيطر على الأرض الممتدة غربي النفود ، من شمال يثرب إلى ما يحاذي خليج العقبة ، من القرن (٤) ق . م . حتى القرن الثاني بعد الميلاد .

---

(١) المصدر السابق ، ص : (٦٩-١١٠) .
(٢) المصدر السابق ، ص : (٤١-٦٧) .

د ـ الثمودية : لهجة الشعب الثمودي الذي عاش شمال الجزيرة العربية ، من الجوف شمالاً إلى الطائف جنوباً ، ومن الإحساء شرقاً إلى يثرب وأرض مدين غرباً ، وفي المسالك المؤدية إلى العقبة والأردن وسوريا ، وحتى أرض حضرموت من جنوب الجزيرة العربية . ومن المحتمل أن يكون الشعب الثمودي يمثل السكان الأصليين لشمال الجزيرة العربية . ولعلَّ القرآن الكريم خصَّهم بالذكر لهذا السبب ، دون ذكر اللحيايين والدادانيين والأنباط وغيرهم .

هـ ـ الصفوية : نسبة إلى " الصفويين " العرب الذين أقاموا بجبل الصفا جنوب شرق دمشق ، منذ القرنين الثاني والثالث ق . م . ولقد ذكرنا أن أول من اكتشف نقوشها القنصل الألماني في سوريا سنة ١٨٨٥م .

ومن الطبيعي أن يطرأ على لغة " المسند " من التطور ما يمكن أن يطرأ على سائر اللغات ، وبخاصة بعد انتشارها في شعوب مختلفة كالأنباط العرب والآراميين . وكان نتيجة نموّ نفوذ الأنباط وامتداده إلى مسالك التجارة في الشمال أن قويت لغة " المسند " ، وامتدت إلى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق. وازداد نموها وتطورها مع امتدادها ما بين القرن الثالث ق. م إلى القرن السادس بعد الميلاد ، حتى كانت اللغة العربية الفصحى التي نزل بها الوحي الكريم على محمد ﷺ ، وهي اللغة التي اختارها الله لدينه ووحيه ونبيّه وأمة الإسلام على مدى الدهر .

لقد بلغت اللغة العربية ذروة نضجها وتطورها لَمَّا نزل بها الوحي ، بعد أن استقرَّت بياناً وقواعد ، نثراً وشعراً ، وحتى تظلَّ لغة القرآن الكريم ثابتة القواعد والبيان ، غنيَّة كل الغناء ، ليظلَّ القرآن الكريم مُيسَّراً للذكر ، مفصَّلاً بيّناً مدى الدهر كلِّه للعالمين .

ولذلك توالت الآيات الكريمة التي تُلحُّ بأنَّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين . ولولا استقرار اللغة العربية واستقرار قواعدها نثراً وشعراً ، لما كان يتيسَّرُ أن

يظل الكتاب الكريم مبيناً . إنَّ قواعد البيان التي نزل عليها القرآن الكريم يجب أن تظلّ ثابتة مألوفة للمسلم في شتى أنحاء الأرض، على مدى العصور والأجيال .

ولذلك تميّزت اللغة العربية بهذه الخصائص من الاستقرار والصفاء ، حتى يظلّ القرآن الكريم يحمل خصائص إعجازه على مدى العصور ، وخصائص بيانه، وقوّة بلاغته وحجّته .

ولقد توالت الدراسات حول اللغة العربية في الآونة الأخيرة ، بحثاً عن خصائصها وتميّزها من لغات العالم الأخرى .

فقد اتجه بعضهم ليثبت أن أصل اللغة الإنجليزية هو اللغة العربية ، لوجود مفردات كثيرة لها أصول عربية . ولكنَّ هذا الأمر يحتاج إلى دراسات أوسع وأدقّ.

وتقول الباحثة المصرية الدكتورة تحيّة عبد العزيز إسماعيل في كتابها : " العربيّة الفصحى أمّ اللغات الهندية والأوروبية وأصل الكلام " الذي نشرته باللغة الإنجليزية ، تقول إن بحثها هذا هو خلاصة جهد استغرق عشر سنوات . وتقول إن ٨٠ ٪ من أفعال اللغة السكسونية عربية الأصل ، وإن ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية عربيّة الأصل أيضاً . ولكن لم ترد دراسات أوسع تؤكد مثل هذه التصورات . وحَسْبُ اللغة العربية شرفاً أن اختارها الله لدينه ونزل بها الوحي الكريم .

ويقول أحمد حسين شرف الدين إن أبْجديّة اللهجة الثمودية وأبجدية اللغة الفينيقية متشابهتان ، مما يشير إلى أنهما من أصل موطن واحد ، هو موطن الشعوب السامية في الجزيرة العربية ، وأنَّ اللغة الفينيقية هي أم اللغات اللاتينية . فيعود بذلك أصل جميع اللغات إلى جذور اللغة العربية ، إذا صحّت المعلومات المذكورة أعلاه .

الفصل الثانـي

اللغة العربية بين ماضيها وحاضرها

إن واقع اللغة العربية اليوم يتأثَّر كثيراً بواقع المسلمين ، فهي تقوى بقوّتهم وتضعَف بضعفهم ، ولكنها تبقى في الميدان تصارع التحدِّيات ، تبقى حيَّةً بكل خصائصها مهما ضُيِّق عليها أو غزاها الظالمون ، ومهما اشتدَّ المكر والكيد لتوهينها أو عزلها عن الميدان .

وجميع اللغات تخضع إلى هذه القاعدة ، فهي تقوى بقوّة أُمَمها وتضعفُ بضعفها ، ولكنها لا تستطيع كلُّها الصمود أمام التحديات التي تظَهر أمامها . ويضرب لنا التاريخ أمثلة كثيرة على لغات وقفت ثم تراجعت ، وعلى لغات أصبحت مجرّد تاريخ ، وعلى لغات بادت مع شعوبها .

واختلاف اللغات بين الأُمم والشعوب آية من آيات الله ، تحمل العبرة للتأمل والتدبر :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢) ﴾ [الروم: ٢٢]

ولكنّ اللغة العربية تميّزت بخصائص لم تتوافر لأي لغة أُخرى . إنها تميّزت بخصائص وهبتها القدرة العظيمة على الصمود أمام التحدّيات حيّة قَوية ، تدفع وتدافع وتصارع . وبعض هذه الميّزات ينبع من إمكاناتها الذاتيّة التي وهبها إياها الله من خلال مراحل تاريخها ونموّها ، ومنها ما هو نعمة من الله عليها وعلى المسلمين وعلى الناس كافة ، حين اختارها الله لغة رسالته إلى عباده ولغة دينه ، وحين تعهَّد الله بحفظ الذكر الذي نزل بها .

وتمرّ اللغة العربية اليوم بتحدّيات وصعوبات نابعة من واقع المسلمين . فلقد فقد الكثيرون من المسلمين اليوم الحافز الإيماني لتعلّم اللغة العربيّة .وظنّ بعضهم

أنه يمكن الاستغناء عن اللغة العربية ، وأنه يمكن دراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة بأي لغة أُخرى إذا تُرجما إليها . فضعفت النية والعزيمة لتعلّم لغة القرآن الكريم والتمسك بها في مناطَق كثيرة في العالم الإسلاميّ ، مع ما أخذ المسلمون يعانون منه من غزو كاسح وفواجع ومآسيَ ، وهزائم في أكثر من ميدان .

ولقد تبع هذه الظاهرة وصاحبها ضعف في التصور الإيماني والتوحيد وضعف في تدبّر منهاج الله وفهمه وممارسته في واقع الحياة .

وقد أدرك الأعداء أهمية اللغة العربية وخطورة منزلتها في الإسلام وفي فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فكان من أهم محاولاتهم إضعاف صلة المسلم بلغته العربية ، وإضعاف شعوره بضرورة التمسك بها ، وطَرْح أَفكار غريبة مريبة تصرف المسلم عن لَغة دينه ورسالته في الحياة . واستمرت هذه المحاولات قروناً واستغرقت جهوداً كثيرة ، ومتابعةً متواصلةً دون ملل . فَطُرِحَتْ أفكار لتغيير قواعد اللغة العربية أو بعضها ، وأفكار لتغيير أحرفها وكتابتَها ، وأفكار لتغيير الشعر العربي . وكانت هذه المحاولات والأفكار التي تُطْرَح مرتبطة بسائر المناهج والتخطيط الذي يضعونه لغزو العالم الإِسلامي ، وتدمير طاقاته الإِيمانية والفكرية والبشرية وغيرها .

ولقد تعهَّد الله سبحانه وتعالى بحفظ الذكر الذي أنزله على رسوله ونبيه محمد ﷺ. وهذا يعني أنه تعهَّد بحفظ دينه وقرآنه وسنة نبيه ﷺ واللغة العربية التي هي وعاء الذكر كله وبيانه ومادته :

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]

ولكنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ليمحّص عباده المؤمنين ، وليرى من يوفي بالعهد والأمانة ، ومن ينهض للغة دينه وقرآنه وسنة نبيه ﷺ ومن يتوانى أو يدبر . ويمضي الابتلاء على سنن لله ماضية ، وحكمة بالغة وقدر غالب .

وهناك مواقف كثيرة تدلّ على صمود المسلمين أمام التحدّيات القائمة ، وتدل

على وعيهم لمنزلة اللغة العربية في الإسلام . وإننا ندعو الله أن تنمو هذه المواقف وتمتد وتنتشر ليعمَّ هذا الوعي جميع المسلمين .

إنَّ أعداء الله لم يلقوا سلاحهم ، ولم يوقفوا مكرهم ضد الإسلام وضدّ اللغة العربية ، بل على العكس من ذلك ، فإنّهم يطوّرون أساليبهم وكيدهم دون ملل أو يأس .

وعسى أن يردَّ الله مكرهم إلى نحورهم ، وعسى أن يصبح ما ينفقون من أجل ذلك حسرة عليهم :

﴿ .....وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٦]

إنه ابتلاء شديد ، وإنها فتنة شديدة تعصف بالمسلمين منذ قرون طويلة في جميع نواحي الأرض . وكلما عاد المسلمون إلى دينهم عودة صدق ، وحملوا رسالة الله إلى الناس نقيَّة كما أُنْزلت على محمّد ﷺ ، ومضوا يجاهدون في سبيل الله ، كان الله يفي بوعده للمؤمنين بعد أن أوفوا هم ، فيُنْزل نصره عليهم ويُعزُّهم ويُمكِّن لهم في الأرض .

وعاد الابتلاء ، وعادت الفتنة اليوم ، كأشدَّ ما يكون الابتلاء والفتنة كاللهيب والإعصار .

وامتدت الفتنة في كثير من ديار المسلمين ، وأخذت أشكالاً مختلفة متعدّدة ، وتسلل الإحباط إلى نفوس كثيرة . وتبع ذلك كله ضعف عام لدى المسلمين في اللغة العربية !

فلقد انتشرت اللغات العاميَّة ولهجاتها . وأصبح العامة من العرب أنفسهم لا يعرفون اللغة العربية الصحيحة ، ولا يعرفها كذلك كثير من المثقفين العرب .

وانتشرت الأخطاء اللغوية في بعض الصحف والمجلات ، والكتب وبعض الإذاعات .

وفي مناطق كثيرة من العالم الإسلامي غلبت اللغات القومية وانحسرت اللغة العربية أو اختفت ، وضعف الشعور باحترامها وتقدير منزلتها في دين الله ، وضعف الحافز الإيمانيّ والوعي الإسلامي بضرورة تعلمها ، وضعفت النيَّة تبعاً لذلك وهبطت الجهود . وقد ترى الرجل المسلم ينال أعلى الدرجات العلمية في أبواب شتى من العلوم ، ويتقن من أجل ذلك اللغات الأجنبية ويبذل الجهد الكبير من أجل إتقانها ، حافزه في ذلك الدنيا ونيل الشهادة وما يتبعها من مصالح دنيوية، حتى لم يَعدْ يجد في نفسه الحافز الإيماني لدراسة اللغة العربية ولا الحافز الدنيوي.

وقد تجد المفكر المسلم أو الأديب يصبّ فكره وأدبه بلغة أجنبية عنه وعن قومه وعن دينه ، أو بلغته القومية ، بعد أن هبط الشعور والإحساس بضرورة تعلم اللغة العربية ، وهبط الحافز الإيماني أو اختفى .

ونجد في بعض أقطار العالم الإسلامي أنَّ اللغة العربية قد اختفت ، واختفت حروفها وقواعدها . ونجد أنَّ اللغة الأجنبية ، لغة المحتل الظالم الطاغي الذي يحارب الإسلام ، سادت في هذا البلد الإسلامي أو ذاك . وانتشرت مع هذه الظاهرة بعض العصبيات الجاهلية ، وبهتت روح الإيمان والاعتزاز بمقوّمات الإسلام ولغة القرآن والوحي .

ونجد كذلك أنَّ بعض المسلمين لا يتكلمون اللغة العربية في المؤتمرات العلمية أو الإسلامية أو الدولية بينما نجد آخرين يلتزمون لغتهم القومية في مثل هذه المؤتمرات .

وتنحسر اللغة العربية في الفنادق والمطاعم وغيرها من مواقع السياحة في كثير من أقطار العالم الإسلامي ، وتنحسر كذلك في اللافتات على المحلات التجارية والصناعية وغيرها من المراكز العلمية أو الإعلامية .

ومع هذا الانحسار الشديد فإنَّ اللغة العربية واجهت هذه التحدّيات بقوة وثبات وصمود وسجّلت انتصارات كثيرة في مواقع عديدة . فهناك مسلمون في كل بلد إسلامي يصرّون على تعلم اللغة العربية وعلى استخدامها ، سواء أكان ذلك في بلادهم أم في بلد عربي يرتحلون إليه لدراسة الإسلام ودراسة اللغة العربية . إنهم يفعلون ذلك بحافز إيمانيّ واع ومبادرة ذاتية . فهذه الجامعات في عدد من البلاد الإسلامية تضمّ الشباب المسلمين من أقطار شتَّى من العالم يتعلّمون فيها اللغة العربية . وترى بعض المسلمين يصرُّون على حفظ القرآن الكريم باللغة العربية دون أن يعرفوا اللغة العربية . إنها ظاهرة تدلّ على إصرار المسلم على اللغة العربية وارتباطها بالقرآن الكريم ، وتدل على الإصرار على مجابهة التحدّيات الشديدة التي برزت في العصر الحاضر .

لعل هذا الواقع المؤلم لم يشهد مثله تاريخ المسلمين الطويل ، ولا انحسرت اللغة العربية مثل انحسارها اليوم . ولكننا نسرع بالقول لنبيّن ونؤكد أنها مازالت صامدة في الميدان تجابه التحدّيات كلها ، وأنها ستنتصر ، وينتصر المسلمون ، وتعلو كلمة الله لتكون هي العليا ، تدوّي بها اللغة العربية : الله أكبر ، الله أكبر !

لم يكن المسلمون يسنّون قانوناً عسكرياً أثناء فتوحاتهم يفرضون على الناس به تعلّم اللغة العربية . لم يكن انتشار اللغة العربية في الأرض انتشار قسر وقهر. لقد أقبلت الشعوب كلها على تعلم اللغة العربيّة إقبال شوق ورغبة ، بعد أن أسلمت وآمنت ، وبعد أن عرفت من إيمانها وإسلامها منزلة اللغة العربية في الإسلام . وظلت اللغة العربية تنتشر بين الشعوب سواء أكان المسلمون منتصرين أم مَهزومين . ونَبَغ من الشعوب غير العربية عباقرة في اللغة وأئمة فيها ، حين قدَّم الإسلام للشعوب رسالته الربانيّة ، رسالة الإيمان والتوحيد ، وحين تساوت الشَعوب في ظلال هذه الرسالة وفي ظلال العبودَية للّه ربّ العالمين .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]

ويوم فتح مكة قال رسول الله ﷺ : " **يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب** " (١)

وفي حجة الوداع خطب رسول الله ﷺ في الناس ، فكان من بين ما قاله : " **أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجميّ فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلّغت ؟! اللّهم اشهد ! قالوا : نعم . قال : فليبلِّغ الشاهد الغائب** " (٢)

فلم يكن انتشار اللغة العربية بين الشعوب إلا بحافز إيماني ، يزيده قوة ووضوحاً امتداد السلطان والنفوذ ، وامتداد الدعوة الإسلامية في الأرض . وأصبحت اللغة العربية أحد العوامل الجامعة للأمة المسلمة ، وستظل كذلك على مدى التاريخ .

ولكننا اليوم نشهد واقعاً جديداً يحمل من التحدّيات الشيء الكثير . فقد انحسر سلطان المسلمين ، وتمزّقت ديارهم ، ومُنُوا بالهزائم تلو الهزائم ، وغلب الأعداء على مواقع كثيرة ، وأخذ الإيمان يضعف في بعض النفوس ، والعلم بمنهاج الله يجفّ ويبهت ، حتى غلب الهجر لمنهاج الله لدى كثير من المسلمين :

﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠]

---

(١) انظر : أحمد زكي صفوت : " جمهرة خطب العرب " ، ج١ : ص : (١٥٤) .
(٢) المرجع السابق : ص : (١٥٧) .

الفصـل الثالـث

اللغة العربية ومسيرة الرسالة الربّانية

ونعتقد أنَّ اللغات كلها نشأت من أصل واحد ، لعله اللغة التي كان آدم عليه السلام يُحدِّث بها زوجه وأولاده ، واللغة التي كان ولدا آدم يتحدثان بها .

ولقد علّم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها ، كما بيّن لنا القرآن الكريم. وهذا من علم الغيب لا نعلم منه إلا ما علمنا الله سبحانه وتعالى . ولا بأس في أن نعتقد أنَّ آدم عليه السلام علّم زوجه وأولاده مما علمه الله . فهل اللسان والبيان كان مما علمه الله ؟!

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣١ – ٣٣]

نقف أمام هذه الآيات الكريمة بخشوع وتصديق ويقين ، لنأخذ منها أهم قاعدة تفيدنا في حياتنا الدنيا ، ألا وهي أنَّ الله يعلم غيب السموات والأرض ويعلم ما نخفي وما نعلن . ونأخذ منها كذلك أنَّ الله علم آدم الأسماء كلها ، ولكن ليس لنا مصدر من قرآن أو سنَّة لنعرف ما هي هذه الأسماء كلها ، إنه علم الغيب !

ولكننا نعلم كذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى قرن خلق الإنسان بتعليمه البيان :

﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن: ١ – ٤]

وقرن خلق الإنسان بأن جعل له عينين ولساناً وشفتين ، وسمعاً وبصراً وفؤاداً . واللسان والشفتان منطلق البيان ، يدفعه الفؤاد الذي يعي والعين التي تبصر ، والأذن التي تسمع :

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾
[البلد: ٨ – ١٠]

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]

ولما نزل آدم إلى الأرض ، تلقَّى من ربه كلمات فتاب عليه :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٥ – ٣٩]

نقف أمام هذه الآيات الكريمة خاشعين مصدقين ، لنعلم أنَّ آدم عليه السلام أُنْزل إلى الأرض مُزوَّداً بزاد عظيم : أولاً : تجربته مع الشيطان الذي سيظلّ عدوّ آدم وذريته ، وثانياً : العلم الذي علّمه إياه الله ، ولعلّ البيان كان من هذا العلم .

وتعلّم أولاد آدم هذا البيان ، وتخاطب ولدا آدم عليه السلام به :

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة: ٢٦ – ٢٩]

حوار بين ولدي آدم عليه السلام . لقد كان الحوار صورة للبيان الذي علّمه الله لآدم ، والذي علمه آدم لأولاده ، البيان الذي قرنه الله بخلق الإنسان :

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن: ٣، ٤]

من هذا البيان الذي لا نعلم عنه إلا ما علّمنا الله ، خرجت اللغات كلها في تاريخ الإنسان . ومنه ، من هذا البيان ، خرجت اللغة العربية التي اختارها الله لغة دينه ورسالته ، اللغة التي تميّزت من سائر لغات الأرض بنموّها وتطوّرها الذي استقرَّت عليه عند نزول الوحي ، تحمل معها بركة النبع الأول للغات الإنسان ، وتحمل بركة النمو والتطور على سنن لله ، وفي رعاية ربّانيّة ، ثمَّ لتحمل بركة الوحي المنزَّل من عند الله ، وكأنَّ الوحي الكريم يشير إلى بركة التاريخ وبركة النبع الأول ، ليرتبط ذلك كله ارتباطاً يحمله الغيب الذي لا نعلم منه إلا ما علمنا الله ، والذي نقف أمامه خاشعين ، لنرى آيات الله تطرق القلوب وتغرس الإيمان وتنمّي اليقين ، دون أن نلجأ إلى تأويل للغيب لا نملك له دليلاً من كتاب ولا سنَّة .

نجد مما سبق عرضه أن اللغة العربية فرع رئيس من لغة المسند ، وأن اللهجات المختلفة التي عرضناها قبل قليل ، والتي انتشرت في شمال الجزيرة العربية وجنوبها كانت لهجات لغة المسند . فلغة ثمود ، وهي اللهجة الثمودية ، هي من لهجات لغة المسند . فهي بذلك لغة نبيهم صالح عليه السلام ، وكذلك كانت لغة عاد ونبيّهم ولغة مدين ونبيهم ، وغيرهما .

وقد امتدت لهجات لغة المسند إلى بلاد الشام كما رأينا ، وامتدت اللغة العربية مع القبائل العربية التي سكنت قديماً في بلاد الشام ، وكذلك امتدّت اللغات السامية واللغة العربية ولغة المسند إلى العراق . وقد استغرق هذا الامتداد والتفاعل زمناً غير قليل .

فجذور اللغة العربية هي جذور اللغات السامية وجذور لغة المسند . فتكون اللغة العربية قد حملت في نموّها وتطوّرها رسالة الأنبياء والمرسلين من خلال مسيرة الرسالة الربّانيّة ، رسالة الإسلام .

فمن هذه المسيرة المباركة ، ومن هذا التاريخ المشرق ، خرجت اللغة العربيّة

تحمل خصائصها وكنوزها الغنيّة ، خصائصها المرتبطة بالإيمان والتوحيد ورسالة الإسلام التي ختمت بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم الذي جاء مصدّقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه .

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : (**إنَّ أول مَنْ فُتِقَ لسانه بالعربيّة المبيَّنة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة**) [١]

من هذا العرض الموجز ندرك أنَّ اللغة العربية لها مميِّزات خاصة بها ترفعها فوق سائر اللغات . ولقد جاء علماء المسلمين فأخذوا يكشفون عن عظمة هذه اللغة ونواحي تميّزها . لم يضع علماء المسلمين قواعد اللغة ولا خصائصها ، ولكنهم اكتشفوا بعض كنوزها . فاكتشفوا نحوها وصرفها ، وقواعد نثرها وشعرها ، واكتشف الخليل بن أحمد ـ رحمه الله ـ العروض الذي كان من أهمِّ خصائص اللغة العربية ، الخصائص التي اكتشفها العلماء المسلمون ، وأصبح العروض شرفاً للشّعر وقوّة له ، وميزته التي تميزه من النثر . واكتشفوا كذلك كنوزاً أخرى ، فاكتشف عبد القاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ بعض أسرار البلاغة والبيان ، وبعض دلائل الإعجاز في كتاب الله تعالى .

وتوالى العلماء على مرِّ العصور يكتشفون في هذه اللغة كنزاً بعد كنز ، حتى كأنها تختزن الجواهر واللآلئ والأحجار الكريمة كلها . وظلّت اللغة العربية تطلق من كنوزها وتشعُّ من عبقريتها ، كلما يسر الله لها المواهب الغنيّة القادرة ، وستظلّ لغة القرآن الكريم تُشعُّ أنوار البيان مدى الدهر .

ولّما ضعفت الأمة المسلمة وطُويَ كثير من المواهب ، ضعف اللسان ، وغلبت في كثير من ديار المسلمين لغات أجنبية أو عامية . ولكن اللغة العربية ما زالت غنيّة بكنوزها ، فإذا ضعف أبناؤها فإنها تظلُّ محتفظة بغناها ، حتى تنهض المواهب وتنطلق من عبقريّة هذه اللغة العظيمة .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : (٢٥٨١) .

إنها تختزن كنوزاً لا تنفد ، وعبقرية لا تخْمد ، وجمالاً غنيّاً لا يذبل . إنها لغة القرآن الكريم ، وحسبها عظمة وشرفاً أن تكون لغته .

من هنا نرى أنَّ اللغة العربيَّة ، مثل سائر لغات الشعوب ، نبعت مما علَّم الله آدم عليه السلام ، ومما علَّمه آدم عليه السلام لولديه ، وتخاطبوا به ، وخاطبهم الله به . ثمَّ تشعَّب أولاد آدم وذريتهم في نواحي شتَّى من الأرض ، ومع كل اتجاه ومسيرة أخذت اللغة مراحل بالتغيير والتطور . ومن بين هذه الاتجاهات كان الاتجاه الذي انتهى إلى اللغة العربية الصحيحة . وكان من أهم معالم هذا الاتجاه أنه حمل لغة الأنبياء والمرسلين ورسالة الإسلام ، حمل لغة النبيّ صالح عليه السلام وقومه ، لغة ثمود . ومعلم آخر في هذه المسيرة ما بيّنه لنا رسول الله ﷺ في حديثه الشريف الذي سبق ذكره ، من أنَّ أول من فُتق لسانه عن العربيّة المبيَّنة إسماعيل عليه السلام . فهذه مسيرة تميّزت من مسيرة أيَّ لغة أخرى بأنها حملت لغة النبوّة ورسالة الإسلام . وكان من أهمِّ معالم ذلك : لغة آدم عليه السلام ، ولغة ثمود ، ولغة إسماعيل عليه السلام ، ولغة محمّد ﷺ. ولعلَّ سائر الأنبياء والمرسلين كانت لهم لغتهم تمثّل إحدى مراحل تطور هذه المسيرة العظيمة.

الفصل الرابـع
منزلة اللغة العربية في الإسلام

لقد كانت اللغة العربية لغة العرب وحدهم قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ وقبل بدء الوحي . فمن اللحظة التي نزل فيها الوحي على النبيّ الخاتم باللغة العربية واختار الله سبحانه وتعالى هذه اللغة العظيمة لتكون لغة الوحي والنُّبوَّة ، ولغة القرآن الكريم ، منذ تلك اللحظة أصبحت اللغة العربية هي لغة رسالة الإسلام ، لغة الأمة المسلمة مدى الدهر ، لغة كل مسلم .

لقد نمت اللغة العربية من خلال تاريخ طويل مرّت به الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق . واستقرت على صورة من القواعد والبناء والبيان في نثرها وشعرها ، وتحدّدت مفهومات مصطلحاتها وتعبيرها ، وأساليب بيانها ، حتى تميّزت بذلك كله بروعة البيان وجمال التعبير وأسر الكلمة ، وعبقرية شعرها وشَرَفه بالوزن والقافية ، وحتى أصبحت هذه اللغة العظيمة غنيّة بكلماتها ومشتقاتها وقواعدها وبلاغتها . وأصبحت غنية بنغمتها وموسيقاها ، وأصبح البيان يهزّ العربي وغير العربي ممن عرف العربيّة وأتقنها ، وأصبحت اللغة كنزاً في حياة العربيّ تؤثر في فكره ونهجه ، وأصبح الشعر ديوان العرب ، وأجمع رجال العربيّة أن الشعر شَرُفَ بالوزن والقافية ، كما يرد هذا التعريف في المعاجم .

فما نزل الوحي الكريم من عند الله باللغة العربية إلا بعد أن بلغت اللغة نضجها واستقرّت بها قواعد الإسلام وآيات الكتاب المجيد وأحاديث الرسول ﷺ . وأصبحت اللغة العربية تتميزّ " **بجوامع الكلم** " ، مما لا يتيسرّ في لغة أخرى ، حتى كان من خصائص النبيّ الخاتم محمد ﷺ أنه أوتي جوامع الكلم . فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال :

" **أُعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه** " [رواه أحمد وابن عمرو][(١)]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (١/ ٣٥٠/ ١٠٦٩)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه :

" نصرتُ بالرعب وأعطيت جوامع الكلم " [رواه أحمد](١)

وجاء القرآن الكريم ليبيّن منزلة اللغة العربية في الإسلام ، وليبيّن أن اللغة العربية من خصائص منهاج الله وأنها منه :

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) ﴾
[يوسف: ١، ٢]

وكذلك :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة الهامة في عدد غير قليل من سوره : النحل ، فصّلت ، طه ، الزمر ، الشورى ، الزخرف ، الأحقاف ، ومع كل تأكيد ظلٌّ جديد ، ففي سورة الرعد يأتي ظل ممتد مع التشريع والحكم الذي تتسع له اللغة العَربية :

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (٣٧) ﴾ [الرعد: ٣٧]

ويرتبط التفصيل في سورة " فُصّلت " باللغة العربية التي تتسع لهذا التفصيل وبيانه :

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾ [فصلت: ٣]

ويرتبط معنى الوضوح واستقامة المعنى والبيان والتشريع والعلم باللغة العربية التي توفِّر هذا كله في سورة الزمر :

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]

---

(١) الفتح الرباني : ٢٢/ ٤١/ ٧٣٢ .

ولو تابعنا جميع الآيات الكريمة لوجدنا ظلاً يمتدُّ إلى ظلٍ يؤكد عظمة منزلة اللغة العربية في القرآن الكريم ، وتبعاً لذلك في الإسلام .

ولقد جاءت رسالة الإسلام ونزل الوحي الأمين باللغة العربية ليخاطب القرآن الكريم شعوب الأرض كلها بمختلف أجناسها وأعراقها ولغاتها بهذا اللسان العربي المبين . فانتقلت اللغة العربية مع أول آية نزل بها الوحي نقلة واسعة هائلة تملأ العصور والأقطار والشعوب .

وحسبنا ، لنعلم عظمة هذه اللغة ، أن ندرك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارها واصطفاها ورضيها لكتابه ودينه ولعباده المؤمنين ، فوسعت كتاب الله آياً وحكمةً وبياناً معجزاً ، يتحدّى العربَ أولاً ، أهل الفصاحة والبيان ، أن يأتوا بمثله ، ويتحدى الناس كلهم ويتحدّى الإِنس والجنّ .

فأصبحت اللغة العربية لغة العبادة والطاعة في الصلاة وسائر الشعائر ، ولا يُعتبر القرآن قرآناً إذا نُقل إلى لغة أخرى . إنما هو باب من أبواب التفسير غير الدقيق ، يصلح لينقل بعض المعاني ولا يصلح لينقل الإعجاز والمنهاج الرباني ، ولا يصلح للعبادة . ونعتقد أنه يستفاد منه مرحلياً ، حَتى إذا آمن القلب وأسلم الإنسان هرع إلى دراسة اللغة العربية ، ليدرك فضل الله ونعمته على عباده باصطفائه هذه اللغة العربية لكتابه ولدينه .

من هنا ندرك مسؤوليتنا في توفير الفرصة الكاملة للإنسان ليأخذ دينه من كتاب الله باللغة العربية كما أُنزل من عند الله . فهذا واجب على المؤمنين وحقٌّ لكل إنسان .

ومن هنا ندرك مسؤوليتنا في أن ننمّي لدى المسلمين خاصة والناس عامة الشعور والإحساس بضرورة دراسة اللغة العربية ، حتى يفقهوا كتاب الله وسنة نبيه ، وحتى نكون أوفينا البلاغ بما أُنزل وأدّيْنا الأمانة . فقد أمر الله رسوله ﷺ أن يبلغ الناس كافة ما أُنزل إليه ، فإن لم يَفعل ذلك فلا يكون قد بلّغ رسالته :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧]

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨]

﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦، ١٠٧]

فقد حملت اللغة العربية بفضل من الله : تمام البلاغ وكماله ، والإنذار والبشْرى ، والرحمة للعالمين ، والعلمَ الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والبيان المعجز الميسَّر للذكر ، والهدى والنور والشفاء ، والموعظة والحكمة ، والقول الفصل ! .

ولا نعني بذلك أن إعجاز القرآن الكريم محصور في اللغة والبيان ، ولكنه إعجاز ممتدّ في جميع نواحي الكتاب الكريم . فهو معجز في بيانه وبنائه ، وصياغته وأسلوبه وعرضه ، وجرسه ووقعه ، وأحكامه وتشريعه ، وقصصه ووصاياه ومواعظه ، ونبأ الغيب والعلم الحق الذي يعرضه ، وهو معجز في تكامله وتناسقه وترابطه ، وفي أسرار ربانية فيه لا يعلمها إلا الله ، حتى جاء بذلك كله منهجاً كاملاً معجزاً يحمل الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وحسبه إعجازاً أن يكون من عند الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]

وتكشف لنا الآيات البيّنات حقيقة الإعجاز في كتاب الله ، إعجازاً جعل الإنس والجن يقرُّون بعظمة هذا القرآن وإعجازه عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ١، ٢]

وكذلك :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢]

لقد كان الإعجاز هنا في وقع الآيات ونفوذها حتى إلى الجنّ . وكان الوقع عظيماً لا يستطيع أيُّ كلام آخر أن يبلغه . إنه إعجاز جامع لعوامل شتى ، إنه إعجاز خاصّ بالقرآن الكريم !

ويمتدُّ الإعجاز في كتاب الله حتى يُعجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . فاستمع إلى آيات الله البينات :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]

وكذلك :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣]

وكذلك :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾ [يونس: ٣٨]

وكذلك :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]

وأمام هذا التحدّي :

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤) ﴾ [هود: ١٤]

ونعتقد أنَّ مصدر الإعجاز كله ثلاث قضايا مترابطة كلها فيما بينها ، بحيث تكون القضية الأولى هي نفسها مصدر القضيّتين الأُخْريين :

أما القضية الأولى : فهي أنه من عند الله :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾ [يونس: ١٥]

والقضية الثانية : هي أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولقد ذكرنا الآيتين الكريمتين من سورة الأحقاف قبل قليل ، ونذكر هنا آيات أخرى :

﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣) ﴾ [يونس: ٥٣]

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾ [يونس: ١٠٨]

﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٧]

نعم ! " **الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ** " ! من عند الله ! فارتبطت القضية الثانية بالقضيّة الأساسيّة الأولى .

والقضية الثالثة : هي أنه أنزل باللغة العربية وحياً من عند الله ، وقد ذكرنا بعض الآيات البيّنات عن ذلك ، ونذكر آيات أخرى هنا :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣]

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى: ٧]

وواضح أنَّ هذه القضية الثالثة نابعة من القضية الرئيسة الأولى : إنه من عند الله .

فأصبحت اللغة العربية وعاء القرآن الكريم ، تحمل هذا الحقّ المبين ، والمنهاج الرباني الكامل المترابط المتناسق ، وتحمل هذا الإعجاز كله .

وكانت اللغة العربية كذلك لغة السنَّة النبوية . إنها لغة النبوة الخاتمة ، لغة الحديث الشريف .

فأصبحت اللغة العربية **لغة المنهاج الرباني ـ قرآناً وسنَّة ولغة عربية ـ** لا تنفصل عنه أبداً .

الفصل الخامس

تميّز اللغة العربية من سائر اللغات

إنَّ اللغة التي حملت هذا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والتي جاء بها هذا الإعجاز الذي تحدَّى به القرآنُ الإنسَ والجنَّ على أن يأتوا بسورة ، أو عشر سور ، أو بمثل القرآن كله ، إنَّ اللغة التي حملت هذا الحقّ وهذا الإعجاز لهي لغة متميزة كل التميّز من لغات البشر الأخرى .

وقد كشف علماء اللغة العربية جوانب كثيرة من عظمة هذه اللغة ، وكشفوا عن جوانب قواعدها وصرفها ونحوها وبيانها وعروضها ، وستظل اللغة العربية تقدّم الكثير من البيان مع كل موهبة حقيقية ، تسمو بذلك عن سائر اللغات .

ولا نستطيع هنا أن نجمع كلَّ ما كشفه علماء اللغة وأئمتها في تاريخها الطويل ، ولكننا نكتفي هنا بإشارات سريعة موحية .

فللغة العربية جمال متميز من سائر اللغات . إنه جمال الوضوح والدقة في المعنى ، وجمال الظلال الموحي ، وسائر أبواب الجمال الذي كشف عن بعضه العلماء المسلمون في تاريخ طويل . وسيظل الجمال متجدّداً تتفتّح أبوابه مع الأيام. ولا تنطبق قواعد الجمال في اللغات الأخرى على قواعد جمال اللغة العربية ، فللغة العربية جمال آسر هزَّ جميع من درسها وعرفها . لقد هزّت الأدباء والشعراء ، وهزَّت الشعوب على مدى تاريخ طويل ، وستظلّ تهزّهم إلى أن تقوم الساعة .

ولقد تحدّدت مصطلحاتها اللغوية ، حتى تستقرّ أحكام الإسلام وتشريعه على قواعد راسخة ، وحتى تستوفي اللغة أسباب الوضوح والدقة والجمال . ولقد استقرَّ مفهوم النثر ومفهوم الشعر ، حتى لا يختلط الكلام ، وحتى يتمايز كلام الله ، وحتى تستقيم المعاني .

ومما يؤكد هذه الحقيقة الهامة أنه عند نقل القرآن والسنة إلى لغة أخرى غير

العربية فإن المعاني لا تُسْتَوفَى كما هي مستوفاة باللغة العربية ، وإن الإعجاز الذي يحمله منهاج الله والذي تحدّى به العرب والإنس والجنّ يفقد كثيراً من خصائصه ، وإن البيان المعجز المؤثر في النفس يختفي معظَم تأثيره ولا يبقى الكلام عندئذ كلام اللَه ، ولا القرآن قرآناً ، ولا التلاوة تلاوة .

وفي اللغة العربية ، وألفاظ القرآن وتعبيراته بها ، ما يتعذّر نقله إلى لغة أخرى . فكلمات : " **الولاء ، آية ، الإحسان ، التقوى ، عَرَض هذا الأدنى ، قدم صدق ، وأملي لهم ، إمام ، عاكفين** " ، وكلمات كثيرة ، وتعبيرات قرآنية كثيرة أعجزت العرب أن يأتوا بمثلها ، فأنّى للغات غير العربية أن تأتي بمثلها ؟!

وكلمة " **آية** " تترجم في الإنجليزية " Sign"وشتّان بين معنى هذه وتلك وبين ظلالها ، إنَّ لفظة " آية " لفظة معجزة بنفسها ، توحي بالإعجاز والسّمو الذي لا يُبلغ .

وكلمة " **ومن أنفسكم** " تحمل معاني وظلالاً ممتدة غنيّة نديّة تعجز عنها الترجمة الإنجليزية : " from you " و" **أزواجا لتسكنوا إليها** " مليئة بالظلال لا تبلغها الترجمة الإنجليزية : " mates dwell in tranquility with them " ، فكلمة " **السكن** " ومشتقاتها غنيَّة المعاني والظلال ، وكلمة " **الرحمة** " تترجم حيناً " Mercy " وحيناً آخر " Kindness " ، ولكن كلمة الرحمة تظل أغنى معنى وأندى ظلالاً وأوقع جرساً .

تكاد الكلمات في اللغة العربية يوحي جرسُها بمعناها ، مثل : " شِدّة ولين ، غلظة ورحمة ، الخبيث والطيّب " .

وانظر في هذه التعبيرات : " **التي جعل الله لكم قياماً ، الإحسان ، الدين ، أمة ، وقولاً معروفاً ، الأوَّابون ، الساعة ، عرض هذا الأدنى ، وأملي** لهم ، **عاكفين ، سنستدرجهم** " .

أما كلمة " **التقوى** " وما يشتق منها : **المتقون ، اتقوا** ، فإنها تحمل من

المعاني والظلال ما لا يمكن حصره في اللغات الأخرى بجمل وشروح . ولذلك لجأ بعض المترجمين لاستخدام الكلمة العربية نفسها عند الترجمة ، أو وضع شرح لمعنى الكلمة العربية بدل استخدام لفظة محددة .

ولا تتميّز اللغة العربية بمفرداتها وألفاظها وكلماتها وما تحمل من معاني وظلال وجرس فحسب ، ولكنها تتميّز كذلك ببنائها وصياغتها ، حين ينضمُّ معنى إلى معنًى ، وظلّ إلى ظلٍّ ، وجرس إلى جرس ، لتبلغ الصياغة درجة عالية من الجمال الفني المؤثر .

وتتميّز اللغة العربية بقواعدها ، بنحوها وصرفها ، تميّزاً ظاهراً ، تجد فيها دقّة المنطق والتناسق والترابط ، كأنَّها دقّة علوم الرياضيات ، تحكمها قوانين متميّزة . فلا يوجد في أي لغة مجال الاشتقاق كما يوجد في اللغة العربية . فالفعل الثلاثي يأخذ حوالي عشرة أشكال بالمزيدات الرباعية والخماسية والسداسية . هذا خلاف اشتقاق المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغة المبالغة وغير ذلك من الاشتقاقات .

وتتميز اللغة العربية بشعرها كما تميزت بنثرها . إنها تتميز بالعروض الذي لا تكاد تجد له مثيلاً في أي لغة أخرى ، بكثرة بحوره وتعدد الأشكال التي يأخذها كل بحر . والقافية التي أغنت اللغة جرساً ونغمة ولحناً ، والتي حملت من القواعد ما يسّر لها التناسق مع البحور ، وما جعل اختيار القافية يغني البحر والبحر يغني القافية . حتى قال معجم تاج العروس : " **إنَّ الشعر هو الكلام الذي شرف بالوزن والقافية** " . لقد اعتبر العرب المسلمون وأئمة اللغة العربية أنَّ الوزن والقافية شرف الشعر . وحدّد القرآن الكريم وحدّد تاريخ اللغة وأدباؤها وعلماؤها معنى النثر ومعنى الشعر . ومضت اللغة العربية تنمو نموّها الطبيعي على سنن لله غالبة ، حتى نضجت اللغة العربية وبلغت غاية نضجها وتحدّدت خصائصها وقواعد بيانها وبلاغتها ، وقواعد نحوها وصرفها ، وقواعد نثرها وشعرها ، وقواعد العروض الذي أصبح علماً غنياً ندّياً لا يقوى عليه إلا صاحب الموهبة الصادقة .

والجمال الفني وموضوعاته مفتوحة للنّثر والشعر . فأيّ موضوع يطرقه النثر ويبلغ به الجمال الفني المؤثر ، فإنَّ الشعر يستطيع أن يصوغه ويبلغ به الجمال الفني المؤثر. فللنثر جماله الفني الخاص به ، وللشعر جماله الفني الخاص به .

وقواعد النقد للشعر والنثر في اللغات الأخرى لا تصلح لتكون قواعد للنُّصْحِ الفنّي في اللغة العربية ، وما ينطبق هناك ، لا ينطبق هنا . فاللغة العربية لغة متميّزةَ حباها الله من فضله غنى وغناءً لا تملكه أيّ لغة أخرى ، مما جعل لها أسساً في النقد مختلفة .

وتتميّز اللغة العربية ويتميّز جمالها بالحرف وشكله والكلمة وشكلها . إنَّ الخط العربي أجمل الخطوط وأحلاها وأغناها .

لقد صاغ الجمال اللغة العربية ، حتى كان الجمال في كلِّ خصائصها جمالاً متميزاً .

وتظلُّ الأيام تكشف عظمة اللغة العربية وعظمة جمالها ، حتى حين تكون في أقسى ظروف المحنة والعدوان والتحدي ، وحين يحاول أعداء الله تغيير حروفها وطمسها ، وتشويه قواعدها ونحوها وصرفها ، وتشويه بيانها وقواعد عروضها ، وحين تتولّى الدعاية الطاغية تزيين ما يسمّى " بالشعر الحر " ، وما هو بشعر ولا هو بنثر ، فعندئذ تبرز قوة اللغة العربية وقوة صمودها ، وينكشف هبوط ما يحاول أن ينافسها من نثر أو شعر ، أو بيان ، أو جمال فني ، أو نصح أدبي . ويصدق عندئذ القول :

" والضدُّ يُظْهرُ حسْنَه الضدُّ "

ويظهر تميّز اللغة العربية وعظمتها عندما يحاول بعضهم ترجمة القرآن الكريم أو السنَّة النبوية إلى لغات شعوب أخرى ، فإنهم يجدون أنّ المعاني لا يُسْتوفى أداؤها ، وأنَّ بعض الإعجاز الذي يحمله منهاج الله باللغة العربية يزول ، وأنَّ التأثير في النفس الذي يحدثه القرآن الكريم لا يظهر كما يظهر في البيان العربي ولا يبقى الكلام بعدئذ كلام الله ، ولا القرآن قرآناً .





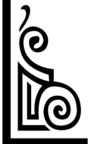
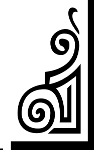
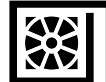
الباب الثاني

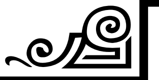
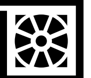
اللغة العربية بين الخطر الذي يتهددها وبين مسؤولية المسلمين

الفصل الأول : حقيقة الخطر الذي يتهدّد الأمة المسلمة حين تضعف اللغة العربية.

الفصل الثاني : اللغة العربية بين الاتجاهات المختلفة في واقعنا اليوم .

الفصل الثالث : اللغة العربية والدعوة الإسلامية ومسؤولية الدعاة المسلمين في البلاد الناطقة بغير العربية .

الفصل الأول

حقيقة الخطر الذي يتهدد الأمة المسلمة حين تضعف اللغة العربية

حين أراد أعداء الله الإعداد للغارة الواسعة على الإسلام والمسلمين ، دفعوا إلى هذه الغارة كلّ أسلحتهم : زخارف الدنيا وزينتها وفتنتها من نساء ومال وشهوات وأهواء ، ومن فكر ضال وعلمانية تائهة ، ومن اقتصاد طاغ قائم على الربا ، ومن حركات التنصير ، ورجال مهيّئين للفتنة والإفساد ، ومن زحف عسكري مهلك مدمّر لا يرحم .

ومن ذلك كله بحثوا عن أسباب قوة هذه الأمة المسلمة العظيمة ، فعرفوا أنَّ جوهر القوى كلها هو منهاج الله ـ قرآناً وسنَّة ولغة عربية ـ فانطلق نهجهم ليضعف اللغة العربية في أبناء المسلمين ويوهنها : فنشر اللغات القومية وغذَّاها وعزل اللغة العربية في معظم ديار المسلمين غير العربية ، وأخذوا يروّجون الدعايات لتغيير حروف اللغة العربية وتغيير قواعدها .

ثمَّ جاء ما يسمونه بالشعر الحرّ ليحاول قتل الشعر وقواعده الثابتة الأصيلة. وجاءت الحداثة ، لتحاول هدم بناء اللغة العربية وأسس بيانها وبلاغتها . واستمرَّ التخطيط في هذا المجال حتى اليوم ، يبذلون في سبيله الأموال والجهود والمؤتمرات . وأخذوا كذلك يفرضون لغاتهم الأجنبية ويفرضونها فرضاً بالترغيب والترهيب، وينشرون اللغة العربية العامية ويوسعون لها المجال في ميادين واسعة من الأدب والفكر والإعلام .

وفي الوقت نفسه كانوا يبذلون أقصى الجهود لإبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وعن سنَّة النبي ﷺ . وجنَّدوا لذلك جنودهم من الشياطين ، شياطين الإنس يعينهم شياطين الجنّ .

ولقد أصابوا في هذا وذاك قدراً من النجاح لا يُسْتهانُ به ، حتى أصبح العدد

الأكبر من المسلمين يجهل القرآن ولغة القرآن . ولكنَّ اللغة العربية ما زالت صامدة في الميدان ، وما زال دين الله قوياً في الميدان ، وسينتصر الإسلام وستنتصر اللغة العربية ، وسينزل الله نصره على المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ويُنزل عقابه وابتلاءه على الذين ضعفوا وبدَّلوا فهانوا ، ويغفر الله لمن يشاء من عباده .

اللغة هي أحد العوامل الرئيسة التي تكوّن فكر الإنسان . إنها تنمو مع الإنسان منذ طفولته ، تنمو مع نموّ جسمه وطاقاته وفطرته التي فطره الله عليها وعقيدته التي يؤمن بها .

وإذا كانت الفطرة سليمة فإنَّ الإيمان والتوحيد يظلاّن مغروسين فيها ، ليكوّنا العقيدة التي يؤمن بها ويحملها ، ولتظل الفطرة قادرة على تلقّي رسالة الإسلام ودين الله كما أنزله الله على عبده محمد ﷺ ليكون نذيراً للعالمين . فالإسلام هو دين الله الذي اختاره لعباده جميعاً ، للناس جميعاً ، للعالمين ، يحمله القرآن والسنَّة . واللغة العربية هي اللغة التي اختارها الله لدينه ، للقرآن والسنَّة ، ليكون البلاغ بها أميناً دقيقاً وليكون التلقّي بها أيضاً أميناً دقيقاً ، والله هو الذي خلق الفطرة ، فجعلها قادرة على تلقي اللغة العربية تلقياً يحمل رسالة الله ودينه .

والطفل المسلم يلتقط اللغة من طفولته لتنمو معه ومع فطرته ، تلتقطها أجهزته المختلفة على سنن ربانية . فيجول بها فكره حين يفكّر ويتدبّر ، وتجري بها يده حين يكتب ، وينطلق بها لسانه حين يتكلم ، لتساهم في بناء الوعي ، وليعبّر بها عن عواطفه وشعوره ، وعن فكره ورغباته ، وعن فرحه وحزنه ، ورضاه وغضبه . إنها تنمو مع أجهزته وقدراته ، مع قلبه وعقله . ويظل العقل قادراً على التلقي الوافي الأمين للغة العربية ولدين الله بها .

ما هو العقل ؟! ليس العقل عضلة محددة في جسم الإنسان ، ولا هو قطعة مادية واحدة فيه . إنَّ العقل طاقة وقدرة ، وتعمل أعضاء كثيرة في جسم الإنسان

وطاقات مختلفة فيه على بنائه وعمله على سنن ربّانية ، نعلم بعضها ونجهل بعضها الآخر . فالسمع والبصر يساهمان في ذلك ، والدماغ والجهاز العصبي ، والفطرة التي فطر الله الناس عليها ، والروح التي أودعها الله في الإنسان الحي والتي لا نعلم عنها شيئاً إلا أنها من أمر الله ، كل ذلك يساهم في بناء ما نسميه العقل . ويوجّه هذا كله ويتحكم فيه القلب واللب والفؤاد ، كما بيّن القرآن الكريم :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦]

واللغات الأخرى غير اللغة العربية تنمو مع الإنسان في بيئته ، ويتلقاها لتكون اللغات واختلافها آية من آيات الله :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢]

وتظلُّ هذه اللغات آية من آيات الله ، حتى تؤدّي دورها الذي يريده الله لها، وحتى تبرز من بينها عظمة اللغة العربية التي اختارها الله لغة دينه الحق ورسالته إلى العالمين ، وليكون دور هذه اللغات ودور شعوبها وأممها أن يفسحوا المجال للغة العربيّة ، لا أن يزاحموها ويصارعوها ويسدّوا السبيل أمام امتدادها ، ذلك لأنهم بهذا الصراع إنَّما يصدون عن سبيل الله ويحاربون دينه .

فعندما تغيب اللغة العربية أو تضعف ، فإنَّ صلة الإنسان بمنهاج الله تتوقف أو تضعف أو تضطرب . وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعف التلقّي من منهاج الله ، وإذا ضعف هذا التلقّي ضعف الإيمان والتوحيد واضطرب .

إنها أمور مترابطة يُغذّي بعضها بعضاً ما دامت قويّة غنيّة عند الإنسان ، ويُضعف بعضها بعضاً حين تضعف أو تذوي . فاللغة العربية والإيمان هما مفتاحا فهم كتاب الله وتدبره . وكتاب الله باللغة العربية يظل يروي الإيمان والتوحيد في الإنسان ، والإيمان والتوحيد يظلان ينميّان إقبال الإنسان على اللغة العربية وعلى

القرآن ، ويظلّ التأثير متبادلاً ماضياً مع الأيام ، القوة تورث قوة ، والضعف يورث ضعفاً ، والهداية كلها بيد الله ، يهدي من يشاء من عباده إلى صراط مستقيم.

فالقضية إذن ليست قضية عابرة ، ولا هي قضية دنيوية . إنها ترتبط بأخطر قضية في حياة الإنسان وأكبر حقيقة في الكون . إنها قضية الإيمان والتوحيد وتلقي رسالة الإسلام ـ قرآناً وسنة ـ تلقياً أميناً دقيقاً لا يتمُّ إلا باللغة العربية .

إنها ترتبط بأخطر قضية في حياة كل إنسان ، لأنها القضية التي تقرر مصيره في الدنيا والآخرة . إنها قضية الإيمان والتوحيد .

لقد جاء القرآن الكريم في أعلى درجة من البيان وأعلى درجة من الإعجاز وأعلى درجة من اليسر ، كل ذلك باللغة العربيّة ليوفّر للإنسان أعلى درجة من الدقّة والأمانة في التلقّي وكذلك في التبليغ ، في أخطر قضية في حياة البشرية ، قضية الإيمان والتوحيد التي لا يقبل الله بها اضطراباً أبداً ولا شركاً ، ولا يغفر ذلك أبداً :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]

وغياب اللغة العربية ، أو هوانها في حياة الفرد المسلم أو الأمة المسلمة ، يفتح المجال لتسرّب لغات أخرى مع ثقافتها ونهجها و " دينها " . فيتسرب " الدين الجديد " شيئاً فشيئاً إلى واقع الأمة ، وتتسرب معه عادات وتقاليد ، وتصورات عن الحياة والموت ، والدنيا والآخرة ، مغايرة لحقائق الإسلام ، وتتسرّب فلسفات مضلّة وآداب ونثر وشعر . ويفتح هذا كله ثغرات بعد ثغرات في حصون الأمة وقلاعها ، حتى تنهار الحصون حصناً بعد حصن ، وقلعة بعد قلعة ، فتدخل الفتن والشهوات والمحرّمات ، تحوطها فلسفات الشياطين لتزينها إلى النفوس ، فيهبط الكثيرون في وحولها ! ويبدأ التنازل عن الإسلام شيئاً فشيئاً .

إذا تتبعنا واقع المسلمين اليوم ، نجد الصورة التي عرضناها أعلاه واضحة جليّة بكل ما فيها من آلام وحسرات .

حين جهل المسلمون لغتهم العربية انعزلوا عن القرآن والسنّة وعن دينهم الحق . ثمَّ أخذ الابتعاد يزداد حتى انقلب إلى إقبال على ضلال العلمانيّة والحداثة وأمثالهما من الرايات والشعارات التي جرفت الكثير الكثير من المنتسبين إلى الإسلام إلى فساد الإيمان واضطرابه ، وإلى الشرك ، وإلى الكفر الصريح وإلى إعلانه والتحدي به .

إن أي تنازل عن الإسلام مهما بدا صغيراً سيتلوه تنازل أكبر ، ثمَّ تنازل أكبر وهكذا . وإن أخطر تنازل هو التنازل عن اللغة العربية لأنه تنازل يؤدي إلى هجر الكتاب والسنَّة ، ثمَّ إلى اضطراب الإيمان وخلله ، ثمَّ إلى ضعف الأمة وتمزّقها شيعاً وأحزاباً ، وشعوباً وأقطاراً ، ومبادئ مستوحاة ، يصارع بعضها بعضاً ، فلا تحس بعد ذلك إلا والديار تضيع والأعراض تنتهك والفواجع تتوالى .

إنه تنازل يبدو أول الأمر هيناً ، ولكنه ينتهي بالتنازل عن الدين ، ثمَّ عن البلاد ، لتغرق الأمة في ظلام الفواجع والمآسي !

ونذكر هنا بعضاً من أبيات حافظ إبراهيم من قصيدته التي عنوانها : " **اللغة العربية تنعى حظها من أبنائها** " يسطر فيها معاناة اللغة العربية اليوم :

قصيدة

اللغة العربية تنعى حظها من أبنائها

بقلم حافظ إبراهيم

رَجَعْتُ لنفْسي فاتَّهَمْتُ حصاتي ... ونـاديتُ قومي فاحْتَسَبْتُ حياتي

رَمَوْني بِعُقْمٍ في الشباب وليْتَني ... عَقِمْتُ فلم أجْزعْ لقول عداتي

ولَدتُ فلمَّا لم أجِدْ لعرائسي ... رجالاً وأكْفاءً وأدْتُ بَنَاتي

وسِعْتُ كتاب الله لفظاً وغايةً ... وما ضِقْتُ عنْ آيٍ به وعظاتِ

فَكَيْفَ أضيقُ اليوم عن وصْف آلة ... وتنسيق أسماء لمُخْتَرَعَاتِ

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغوَّاصَ عن صَدَفاتي

أرى كلَّ يومٍ بالجرائد مَزْلقاً ... من القَبْرِ يُدْنيني بغَيْرِ أناة

وأَسْمَعُ لِلْكُتَّاب في مصر صَيْحةً ... فَأعْلَمُ أنَّ الصائحين نُعَاتي

أَيَهْجُرني قَوْمي - عفا الله عَنْهُمُ ... إلى لُغَةٍ لم تَتَّصِلْ برُواة

سَرَتْ لوثَةُ الإفْرنج فيها كَما سَرَى ... لُعابُ الأفاعي في مسيل فُرَاتِ

* * * * *

إلى مَعْشر الكُتَّاب والجمْعُ حافلٌ ... بَسَطتُ رجائي بعد بسط شكاتي

فإمَّا حياةٌ تَبْعثُ الميْتَ في البِلى ... وتَنْبتُ في تلك الرموس رُفاتي

وإمَّا مماتٌ لا قيامةَ بعده ... مماتٌ لعمري لم يُقَسْ بممات

* * * * *

ولكننا نقول ، ونحن واثقون بالله سبحانه وتعالى ، إنَّها حياة ، وحياة عزيزة في ظلِّ الإيمان ينهض إليه المؤمنون المتقون الصادقون .

الفصل الثانـي
اللغة العربية بين الاتجاهات المختلفة
فــي واقعـها اليــوم !

قضية ضعف اللغة العربية بين أبنائها اليوم قضيّة هامة تحتاج إلى تفكير وتدبير ، ورسم نهج وطريق لمعالجة هذا الضعف .

يحسن أن نستعرض ألوان الضعف الذي نجده في واقع اللغة العربية . وأول ضعف ظاهر هو أنّ قليلاً جداً من أبنائها من يتكلم اللغة العربية الصحيحة في حياتهم اليومية العادية . فقد غلبت اللهجات العامية على الألسنة لدى عامة الناس ولدى مثقّفيهم ولدى أصحاب الشهادات العليا . كما أنها أخذت تختفي هي والعامية من أماكن السياحة كالفنادق وغيرها ، وانتشرت اللافتات باللغات الأجنبية، ورافق ذلك كله جهل واسع باللغة العربية ، حتى أصبحت دراستها تكوّن عقدة لدى بعضهم بما أوهمهم بعضهم بصعوبتها ، وما هي بصعبة أبداً !

ويجب أن نعــرف من هم أبناؤها ! هل أبناؤها أبناء قطر واحــد أو بعض الأقطار ؟! هل أبناؤها هم العرب وحدهم ؟! كلا ! إنَّ أبناءها في ميزان الإسلام وعند الله هم المسلمون أولاً . فاللغة العربيـة وحدها لغة الإسلام والمسلمين ، وفرض على كل مسلم أن يتقن اللغة العربية عبادة لله وطاعة له ، كما سبق أن ذكرنا . ومن هنا ندرك اتساع رقعة المشكلة في ضعف اللغة العربية ، حيث اختفت اللغة العربية من عدد من أقطار العالم الإسلامي ، وحلت مكانها اللغة القومية أو لغة أجنبية كالإنجليزية والفرنسية أو غيرهما .

لم يعد للغة العربية منزلة أو وزن في داخل البيوت الإسلامية والعربية ، ولا في داخل المعاهد والمدارس ، ولا في الدوائر الرسمية أو المؤسسات العامة . قد تَجدُ اللغةَ العاميةَ واللغات الأجنبيةَ ولكن لا تجد اللغة العربية الصحيحة . وقد ترَى أنَّ من يريد أن يتكلم بالَفصحى يبدو غريباً شاذاً ، وربما يكون موضع سخرية من أبنائها .

من هذا العرض السريع ندرك بوضوح أنَّ اللغة العربية تجابه تحدّيات كبيرة جداً . وبالرغم من هذه التحدّيات فإنَّها صامدة في الميدان ما دام هناك من يقرأ القرآن الكريم ويدرس السنَّة النبوية وسيرة الرسول ﷺ .

إنَّ اللغة العربية تدخل معركة كبيرة جداً في ميدان واسع . وإن أقسى ما تلاقيه في هذه المعركة هو عقوق أبنائها ، بالإضافة إلى غزو أعداء الله الذين يريدون محو اللغة العربية ومحو القرآن الكريم ومحو الإسلام ، إن استطاعوا . فالمعركة في حقيقتها ليست محصورة في اللغة العربية نفسها ، ولكنها ممتدّة إلى كلِّ ميادين الإسلام والمسلمين .

هل أبناؤها يدركون حقيقة هذه المعركة ، ويؤمنون بها ؟! وهل يشعرون بواجبهم في النهوض إلى الميدان الواسع الحق لهذه المعركة الكبيرة .

وتتضح لنا القضية بصورة أوسع حين نرى أنَّ جهوداً غير قليلة نهضت لحماية اللغة العربية من جمعيات ورجال ومراكز ومؤلفات وندوات ومؤتمرات . هذه الجهود كلها ، منذ أن بدأت حتى الآن ، لم تفلح في معالجة المشكلة وإعادة اللغة العربية إلى مجدها وعزها . فأين الخلل في المعالجة ؟!

بين يديَّ عدد من الكتب التي أُلِّفت لمعالجة هذه المشكلة ، فأرى من بينها من اعتبر اللغة العربية لغة قومية ، وأنها ضروريّة لإثبات القومية والهوية القومية ، فهل تسلل الانحرافات عن الدين لا يُؤثِّر على القومية أو الوطنية ؟! ومنهم من يرى ضرورة تبسيط النحو لاعتقاده أن النحو في اللغة العربية صعب . والحقيقة أنه ليس يصعب إلا بسبب تجهيل الأبناء وإبعادهم عنها وعن روحها وعن جوهر الاعتزاز بها .

ضعف اللغة العربية هو أحد نواحي الضعف والهوان في واقعنا اليوم . ولا يمكن معالجة أيّ ضعف بصورة مستقلة تعزله عن واقع الأمة وحقيقة مشكلاتها . كل مشكلات واقعنا اليوم تمثّل قضايا مترابطة متشابكة ، كلّ قضية أو مشكلة

مرتبطة بصورة أو بأخرى بسائر القضايا والمشكلات . فلا بدَّ من نهج متكامل ليعالج واقع الأمة وأمراضها، ومن بينها اللغة العربية . إنَّ القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتؤثر على الجهود التي تبذل لحماية اللغة العربية تأثيراً سلبيّاً ما دامت الجهود تبذل على هذه القضية بصورة مستقلة منعزلة عن سائر القضايا . فحين تبذل جهداً لحماية اللغة العربية على هذه الصورة من الانفصال، فإنَّ هناك واقعاً يهدم ما بنيت من ناحية ، أو يشلُّ الجهود أو يخنقها .

إنَّ الكثيرين من أبناء اللغة العربية انحازوا إلى اللغات الأجنبية وإلى العقائد الأجنبية وإلى زخرفها وزينتها ، انحازوا إلى الحداثة لعزل الأمة عن ماضيها كله، عن دينها وعن تاريخها وعن لغتها . وانحاز الكثيرون إلى الشيوعية والاشتراكية والعلمانية والديمقراطية ، وإلى سائر الصيحات التي تطلع بين حين وآخر ، لتهدّم ما يمكن أن يكون قد بني لإعزاز العربية .

إنَّ اللغة العربية لغة رسالة ربانية تخاطب البشرية كلها على مرِّ العصور ، وتخاطب الإنسان ! فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحقائق هذه الرسالة الربانية ، دين الله ، دين الإسلام . وأساس جميع الحقائق قضية الإيمان والتوحيد . فاللغة العربية لغة الإيمان والتوحيد المغروس في الفطرة التي فطر الله الناس عليها :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢]

من هنا يجب أن يكون الانطلاق ، لأنها هي لغة الفطرة ، تقبلها الفطرة السليمة التي لم تتشوّه ، فتجدها سهلة طيّعة . من الإيمان ، من التوحيد ، من الإسلام ، يكون انطلاق المعالجة لضعف اللغة العربية بين أبنائها . إنها التقوى والخشية من الله ، والرغبة الصادقة في طاعته والسعي إلى رضاه ، كلُّ هذا يكون المنطلق لمعالجة هذه القضية مع معالجة سائر القضايا في واقع الأمة .

اللغة العربية لغة الفطرة السليمة ، لغة الإنسان ، لغة الإسلام ، لغة الوحي والقرآن والنبوّة . إنها في تاريخها كله حملت رسالة النبوّة الممتدّة ، رسالة الإسلام.

إنها إذنْ لغة الدعوة الإسلامية . ومن هنا يتبين لنا السبب الرئيس لضعف اللغة العربية بين أبنائها حين تَخَلَّوْا عمليّاً عن الدعوة الإسلامية كما يريدها الله أن تكون ، وكما أمر الله عباده المؤمنين .

الدعوة الإسلامية هي تبليغ رسالة الله كما أُنْزلتْ على محمّد ﷺ إلى الناس كافّة وتعهّدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض . فحين تكون كلمة الله هي العليا في الأرض ، تصبح اللغة العربية لغة الإصلاح والصلاح ، والخير والقوة ، لغة العزّة والمنعة ، في رعاية حانية من الله سبحانه وتعالى ومن جنوده المؤمنين الصادقين .

في كثير من الأحيان ، لا نبلّغ رسالة الله إلى الناس كافّة ولا نتعهَّدهم عليها في مسيرة الدعوة الإسلامية . وربما نبلّغ أفكارنا البشرية وتصوراتنا الخاصة ، ونقيم أوثاناً ليعبدها طائفة من الناس من دون الله ، ونتمزّق بذلك شيعاً وأحزاباً ، تغلب العصبية الجاهلية القاتلة التي حرّمها الله ورسوله . فتتفرّق الأمة ، ويكون التفرّق معصية كبيرة لله ، أنذر الله بمن يقع فيها بعذاب عظيم :

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

وتمضي السنون ، وتعقد المؤتمرات الإسلامية ، وتدبّج المقالات ، وتؤلف الكتب ، وتبذل الأموال ، وتضجّ الشعارات ، وتُبحُّ بها الحناجر ، ويعلو الصياح والضجيج في ميادين يظنُّ أنها ميادين الدعوة الإسلامية ، وبعد السنين الطويلة تكتشف أن هذه الميادين ليست ميادين الدعوة الإسلامية ، ولا ميادين تبليغ رسالة الله ، ولكنها ميادين فتحت ليشغل بها المسلمون عن حقيقة الدعوة ، فَيُسْتَدْرَجون

إلى مأساة بعد مأساة ، ويتجرّعون غُصَّة الهزائم بعد الهزائم ، وكثيرون في خدر وغفوة وسبات ، ويحسبون أنهم يعملون شيئاً ، وما عملوا شيئاً .

في هذه الأجواء تنحرف الدعوة الإسلامية عن نهجها الذي حدّده الله ، وتغوص الأمة في مشكلات بعد مشكلات ، يضعف الإيمان في النفوس ، ويصبح الإسلام شعارات لا نهج معها ولا خطة ولا سلامة عمل . يضعف الإيمان في النفوس ويضعف فيها الإسلام ، وتضعف اللغة العربية ، وتفتح أبواب ساحات المسلمين للغزاة ، للغزو الفكري وسمومه ، وللغزو العسكري وفواجعه . هذا هو الواقع بعد قرون من العمل .

حين يريد بعض الدعاة أن يبلغ رسالة الإسلام إلى بعض الشعوب غير العربية ، فإنه يحرص على أن يتقن لغتهم ليخاطبهم بها ويشرح لهم الإسلام ، دون أن يعلمهم أن دراسة اللغة العربية ضرورة في الإسلام حتى يستطيع المسلم أن يتدبر منهاج الله . وتكون النتيجة في كثير من الأحيان أننا تعلمنا لغة القوم وأتقناها ، والقوم لم يتعلموا العربيّة ، ولم نبلّغهم رسالة الله كما أُنْزلت على محمد ﷺ ، وإنّما بلّغناهم صورة حزبية بشرية زادت الفرقة والحزبية والانقسام . ترجمنا القرآن للغات هؤلاء الأقوام ، وجعلنا خطبة الجمعة في لغاتهم ، ومع ذلك لم يتعلموا العربيّة ، ولا تلقّوا الإسلام كما أُنْزل على محمد ﷺ. وعلى العكس من ذلك فإنَّ بعض الدعاة المسلمين في الغرب أخذوا لغة القوم وما أعطوهم لغتنا ، وأخذوا فكرهم العلماني وما أعطوهم فكرنا الإيماني ، وأخذوا كثيراً من عاداتهم الاجتماعية العلمانية ، وما أعطوا عاداتنا الاجتماعية الإيمانية ذلك كله لأننا لم ننهج في الدعوة النهج الذي رسمه الله لنا ، فلم نحرص على تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنزلت على رسول الله ﷺ ، ولم نتعهدهم كما يجب أن نتعهدهم ، أما هؤلاء القوم فقد حرصوا على تبليغنا لغتهم بشتى الوسائل والأساليب ، وحرصوا على تبليغنا رسالتهم وعاداتهم بجهد مثابرٍ وخُطّة متواصلة ، وحققوا نجاحاً باهراً في بلادهم وفي بلادنا.

إنَّ عودة اللغة العربية إلى سابق مجدها وعظمة دورها أمر ضروري لا غناء عنه . ولكن للوصول إلى ذلك لا بدَّ من نهج يعالج كامل واقع الأمة ومشكلاتها ، حتى لا يكون هناك تهديم من ناحية يعطل عملية البناء .

متى يبلغ البُنْيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فتثبيت اللغة العربيّة في فطرة الطفل يتمُّ أولاً في البيت ، وتكون المسؤوليةُ مسؤوليةَ الوالدين ومدى وفائهما بمسؤوليتهما في بناء الأسرة ورعاية الأطفال وتنشئتهم تنشئة إيمانية سليمة .

وإذا لم يتمّ هذا في البيت ، فسيجد الطفل صعوبة في المدرسة عندما ينتقل إليها . فالمكان الأول لمعالجة الواقع الإسلامي من لغة وإيمان وعلم وغير ذلك هو البيت الذي هو المدرسة الأولى للمسلم ، والقلعة الأولى في حماية الأمة كلها .

من هناك ، من البيت ، من الأسرة ، تنطلق الجهود لمعالجة قضايا الأمة المسلمة . ولبناء الأسرة المسلمة لا بدَّ أولاً من بناء الإنسان المسلم الصادق والمسلمة الصادقة ! وتمضي عملية البناء متكاملة مترابطة .

البيت والمدرسة والمؤسسات ومواقع الأمة كلها يجب أن تعمل معاً في نهج موحد وعزيمة ثابتة . ذلك لأنَّ الجميع مسؤولون ومحاسبون بين يدي الله يوم القيامة ، ولن يكون عذر لمتخلّف عن نصرة لغة القرآن إلا لمن عذره الله . والمسؤولية كبيرة ، والقضية خطيرة ، ولكن لا يبدو أنها أخذت منزلتها الحقيقية في واقعنا اليوم ، فإنْ نشط فرد تكاسل آخر ، وإن بنى واحد هدم آخر . الوضع يحتاج إلى توعية كبيرةَ !

الفصل الثالث

اللغة العربية والدعوة الإسلامية
ومسؤولية الدعاة المسلمين في البلاد الناطقة بغير العربية

أشرنا في صفحات سابقة إلى أنَّ بعض البلاد الإسلامية تركت اللغة العربية وأخذت بلغات قومية . وبعضها حافظ على الحروف العربية وبعضها تخلَّى عنها . ولقد كانت هذه الظواهر ذات أثر سيء على الدعوة الإسلامية في الأرض ، وكانت تمثل تراجعاً ، ولكنها لم تكن تمثّل استسلاماً . وظلت فئات مؤمنة بربّها ودينها تحتفظ باللغة العربية ، وتجاهد من أجل ذلك جهاداً صابراً كريماً . وذكرنا أنَّ من المسلمين غير العرب من يحفظ القرآن الكريم كله باللغة العربية ، ولو كان لا يدرك معناه .

جميع الدول والشعوب ، أو معظمها ، ينفقون الأموال الكثيرة من أجل نشر لغاتهم القومية ، ويُنْشئون مراكز خاصة لهذه الغاية ، ويبنون وسائل إعلامية متنوعة يغدقون عليها الأموال . ويهدفون بذلك إلى تغذية وسائل عدوانهم في الأرض وظلمهم ، وتأمين مصالحهم الاقتصادية الطامعة الجشعة التي لا تكاد تقف عند حد . ويهدفون كذلك إلى محاربة اللغة العربية في العالم الإسلاميّ كله .

فما هو حال المسلمين العرب في ديار الغربة ، في ديار الغرب أو الشرق؟! إنها حالة تستحق التوقُّف والتأمَّل الطويل ، والدراسة المتأنية ، من أجل وضع أفضل الأساليب والمناهج لمعالجة الأوضاع التي يعاني منها المسلم في أمور كثيرة ، ومن أهمها اللغة العربية وعلاقته بها ودوره في حمايتها ونشرها .

عدد غير قليل من المسلمين في بلاد الغرب مثلاً لا يعرفون اللغة العربية مطلقاً ولا يتحدثون بها ولو عرفوا منها شيئاً ، ومنهم من لا يبذل أيّ جهد لدراستها . وقد يختلف الوضع قليلاً أو كثيراً في بلدان أخرى غير الغرب ، ولكنَّ هذه الظاهرة تظل واضحة . وقد تجد من المسلمين العرب أنفسهم ، ممن يقيمون في تلك الديار ، من لا يعرف اللغة العربية ولا يدرسها .

ولقد شعر الدعاة المسلمون بضرورة استخدام اللغة الأجنبية لمخاطبة المسلمين الملتزمين الذي يؤدّون الشعائر حتى يبلّغوهم الإسلام أو شيئاً منه . ونجدهم في بعض المناطق يلقون خطبة الجمعة بقسميها كاملة باللغة الأجنبية ، وفي مناطق أخرى يلقون الخطبة الأولى بالأجنبية ، وفي مناطق أخرى يلقونها بالعربية أولاً ثمَّ يترجمونها موجزةً أو كاملة باللغة الأجنبية ، أو يلقونها أولاً باللغة الأجنبية في مناطق أخرى ، ثمَّ يترجمونها إلى العربية أو يوجزونها .

هذا بالنسبة لخطبة الجمعة . فما هو الحال في النشاطات الأخرى التي يمارسها المسلمون : البيت ، العمل ، المؤتمرات ، الدعوة ونشاطها ؟!

وتختلف الصورة في كل ميدان من هذه الميادين بين بلد وآخر . وليس هدفنا تقديم إحصاء وتفصيلات ، ولكنَّ هدفنا هو عرض ملامح لمشكلة تقف أمام الدعوة الإسلامية وأمام المسلم وهو يتحرك هنا وهناك .

فهناك بيوت تنتسب إلى الإسلام في الغرب أو في الشرق لا يتحدث أهلها باللغة العربية أبداً ، وإنما لغتهم اليومية اللغة الأجنبية . وبيوت كهذه يخرج أبناؤها لا يعرفون شيئاً عن اللغة العربية ، ولا يعرفون عن دينهم الذي ينتسبون إليه شيئاً أو لا يعرفون عنه إلا القليل . وهناك بيوت تخلط بين اللغة العربية العامية واللغة الأجنبية . وقليل يلتزم اللغة العربية العامية ، والنادر أن يلتزم أحد اللغة العربية الصحيحة .

أما في ميدان العمل الوظيفي أو التجاري أو غيره ، فاللغة الأجنبية هي السائدة بصورة جليّة ، تكاد تختفي معها اللغة العربية .

أما في المؤتمرات فهناك اختلاف واضح بين بلد وبلد ، وبين مؤتمرات ومؤتمرات . ولكن الظاهرة التي تلفت النظر في بعض المؤتمرات هو اختفاء اللغة العربية ، حيث تكون المحاضرات كلها أو معظمها باللغة الأجنبية ، ويكون جدول الأعمال باللغة الأجنبية ، واللقاءات الجانبية باللغات الأجنبية ، حين يكون معظم

المحاضرين من العرب المسلمين ، ونسبة عالية من الحضور من العرب المسلمين.
نعم ! هذه الظاهرة ليست في كل المؤتمرات ، ولكنها ظاهرة واضحة في بعضها .

وإن هذه الظاهرة لم يقف أثرها عند استخدام لغة أجنبية بدلاً من اللغة العربية ، ولكن امتدَّ التأثير إلى أن حملت اللغة الأجنبية فكرها وأدبها وتصورها إلى قلوب بعض المسلمين وعقولهم ، وإلى أن أصبحت المعايير الغربية في الفنّ والأدب والفكر هي المعتمدة لدى عدد غير قليل من المسلمين . لقد أصبحنا نجد من الدعاة المسلمين من يدعو إلى العلمانية بصورة واضحة ، ويجعل العلمانية لا تختلف عن الإسلام ، ويضرب الأمثلة الفاسدة بتأويل فاسد .

وهنا تنكشف لنا حقيقة هامة في اللغة ، في أي لغة ! ذلك أن اللغة ليست حروفاً وكلمات وجملاً فحسب . إنَّ اللغة تختزن بين أحرفها وكلماتها فكراً وتصوراً وتاريخاً . وإنَّ هذا الفكر والتصور يتسلل بين الكلمات والجمل ، ويتلبَّس الحروف والكلمات من خلال تاريخ طويل كانت اللغة تنمو معه وتصارع . وربما نلمس بعض مظاهر التاريخ والصراع بين الكلمات والتعبيرات ، ونلمس بعض نواحي التصور والفكر ، وبعض معالم طبيعة الأمة التي تحملها ، والتي نمت معها . وربما نلمس روح ذلك ومعالمه في جرس اللغة وموسيقاها ، وفي دقة بيانها وبلاغتها ، وفي تركيبها وأسلوبها ، مما سيعطي خصائص متميّزة تنفرد بها .

وتكتسب اللغات من خلال نشوئها وتاريخها خصائص تتشابه بها وخصائص تنفرد بها . ومن هنا كان للغة العربية خصائص متميّزة من لغات العالم ، خصائص من أجلها اختارها الله وفضَّلها على لغات الأرض كلها ، لتكون لغة وحيه ورسالته ولغة نبيّه الخاتم . وعندما نرجع إلى جذورها ، نرى أن لغة " المسْند " ، التي هي أصل اللغة العربية ، كانت لغة " ثمود " قوم صالح عليه السلام . فهل حملت اللغة العربية في تاريخها وجذورها رسالة الله مع الأنبياء والمرسلين ، وهل كانت اللغة العربية هي الصورة الأخيرة لنموّ تلك اللهجات وتطورها ؟!

إنَّ هذا احتمال قويٌّ ، كما ذكرنا في صفحات سابقة . ولكن الحقيقة الأساسية تبقى جلية ناصعة لتؤكد لنا أنَّ الله سبحانه وتعالى اختارها وفضّلها على سائر اللغات .

هذه الحقيقة لا بدَّ أن تستقرَّ في قلوب المسلمين ونفوسهم ، وأن تكون عاملاً يجلو لهم مسؤولياتهم ، وأمانة يكونون مسؤولين عن رعايتها والوفاء بها ، وهدفاً يُجلّونه ولا يتنازلون عنه ، وأنهم محاسَبون عن ذلك بين يدي الله تعالى .

من هذه الحقيقة مع سائر الحقائق التي سبق عرضها ، نستطيع أن نجلو الصورة التي تكون عليها مسؤولية المسلم بعامَّة والداعية بخاصّة في ديار الغرب أو الشرق . ومن هنا نستطيع أن نجيب على سؤال يتردّد في الأذهان والندوات وبعض الدراسات : **هل نترجم الإسلام إلى اللغات الأجنبية حين نريد أن نبلّغ الإسلام إلى الشعوب الأخرى ، أم نعلمهم اللغة العربية ؟!**

حين عرضنا قبل قليل العقبات التي تجدها اللغة العربية في ديار الغرب والشرق في حياة المسلمين هناك : في البيت والوظيفة والتجارة والمؤتمرات ، حين عرضنا ذلك بإيجاز بقي ميدان واحد يحتاج إلى عرض وتوضيح . هذا الميدان هو ميدان الدعوة في تلك الديار ، واللغة التي تحمل الدعوة والبلاغ .

ولكن هذه القضية تفرض علينا أن نعرض قضية أخرى ترتبط بالدعوة الإسلامية . تلك القضية هي موضوع الدعوة ومادتها وماذا يعرض الدعاة .

إننا حين نعرض الإسلام على الشعوب غير المسلمة يجب أن يكون هنالك نهجٌ واضح وخطة مفصلة لهذا الأمر ، نهج يبيّن المراحل والخطوات من أجل تبليغ رسالة الله إلى الناس ، لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله الذي لا إله غيره .

إذن النقطة الأولى هي أن يكون هنالك نهج وخطة ودراسات ومراحل ، ويجب أن تظل الدراسات مستمرّة حتى ينمو النهج والخطة وحتى يكون العمل أقرب إلى النجاح والصدق .

والنقطة الثانية هي أننا يجب أن نبلّغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنْزلت

الرسالة على محمد ﷺ دون خروج عن هذه الرسالة ، ودون الانشغال عنها بقضايا جزئية أو قضايا وهميّة ، ودون الانحراف عن هذه المهمّة العظيمة .

إننا نجد عدداً غير قليل من الدعاة انصرف عن الدعوة الإسلامية إلى الدعوة إلى الديمقراطية والاشتراكية وإلى الدعوة إلى العَلْمانية والعلْمانية وإلى الانتخابات وتوابعها ، وإلى قضايا أخرى كثيرة تستهلك الجهودَ وتصرفها عَن الدعوة الحقيقية إلى الله ورسوله، إلى الإيمان والتوحيد ، إلى رسالة الله لعباده كما أُنْزلت على محمد ﷺ .

وبعض الدعاة المسلمين ينصرفون عن الدعوة الإسلامية ونهجها إلى محاولات توفيقية بين الأديان ، وينسى الدعاة بذلك أنهم مسؤولون عن تبليغ رسالة الله إلى الناس ، مسؤولية بيّنها الله سبحانه وتعالى في القرآن والسنَّة ، وفصّل المنهاج الرباني هذه المهمة حتى لا يبقى مجال للخطأ أو التأويل . إنها أمر من الله سبحانه وتعالى وتكليف منه ومن رسوله ﷺ .

إنَّ الإسلام جاء رسالة ربانية واضحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وإن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نبلغ هذه الرسالة دون تغيير أو تبديل أو مساومات . إنها الحق الذي تقوم عليه الحياة وتصلح به ولا تصلح بسواه .

حين يعرف الداعية مهمته بصورة واضحة دقيقة ، ويعلم أنها تكليف من عند الله ، وأنه لا يحلُّ له أن يبدّل مهمته بهواه ، لأن ذلك يخرجه عمليّاً من صفّ الدعوة الإسلامية التي قامت في الأرض لأمر عظيم ، ولحقيقة كبرى في الكون والحياة ، حين يعرف الداعية المسلم هذه الحقيقة وتستقرُّ في نفسه ، يسهل عليه بعدئذ وضع النهج والخطة والمراحل لدعوته إن كان جادّاً في عمله ، وإن كان يرجو الله والدار الآخرة .

وحين يبلّغ الداعية المسلم رسالة الله إلى الناس ، رسالة الإسلام كما جاء بها محمد ﷺ ، سيعرف الناس بصورة واضحة أنَّ اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله ، وأنها مفتاح لفهم كتاب الله ، وأنَّ كتاب الله لا يُفهم فَهْماً أسلم

وأصح إلا كما جاء باللغة العربية لا بسواها ، وأنَّ القرآن الكريم بغير اللغة العربية لا يعتبر قرآناً ، ولا تكون معانيه إلا تقريبية غير دقيقة دون أن تحمل الصورة الدقيقة التي أوحى بها الله إلى عبده محمد ﷺ ، كما ذكرنا ذلك في صفحات سابقة .

سيعرف الناس هذه الحقيقة وهم يُبلَّغون رسالة الله ، يبلّغهم إياها الداعية بلغتهم أو بأيّ لغة أخرى يتفاهمون بها . وسيعرفون هذه الحقيقة من الداعية نفسه لتكون هذه الحقيقة جزءاً من رسالة الإسلام . وعندئذ تسهل المهمة وتُعرف المسؤوليات ، ويدرك الرجل الذي يُدْعى إلى الإسلام أنَّ مسؤوليته أن يدرس اللغة العربية ليحسن فهمه لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، ولتحسن عبادته ، وليظلّ إيمانه ينمو ويزداد بفضل الله وهدايته كلما استمرَّ في مصاحبة منهاج الله مصاحبة عمر وحياة .

إذن ، حين يدعو الداعية الناس ، يجب أن يُعرِّفهم مسؤولياتهم التي سيحاسبُهم الله عليها يوم القيامة ، والأمانة العظيمة التي يحملونها والتي يجب أن يوفواَ بها .

إنَّ أول هذه المسؤوليات هي الإيمان والتوحيد ، ثمَّ يأتي بعد ذلك أداء الشعائر حتى يقيم في نفسه وحياته أركان الإسلام ، الأركان التي بُني عليها الإسلام . ثمَّ يأتي بعد ذلك ومعه تدبر منهاج الله ودراسته باللغة العربية ، ليعرف سائر التكاليف الربّانية التي كلّفه الله بها ، والتي سيحاسبه عليها يوم القيامة . يمكن أن يبدأ الداعية بأي لغة يمكنه البدء بها . ولكن هذا يمثّل مرحلة أولية يجب تجاوزها بالسرعة الممكنة ، ويجب تجاوزها بقناعة الطرفين : الداعية ومن يدعوه. أما الداعية فهو مؤمن بذلك لصفاء إيمانه وصدق علمه ، وأما من يُدْعى فهو يؤمن بذلك كحقيقة من حقائق الإسلام وهو يبلَّغ برسالة الإسلام . وتزداد قناعته بهذه الحقيقة كلما زاد علمه .

إننا نعرض هذا التصور لأنه غائب في كثير من المواقع عن الميدان ، وأنه كان يرفعه الكثيرون شعاراً لا يجعلون له رصيداً في الواقع والممارسة . ويضطرب

الأمر في نفس من يُدْعى إلى الإسلام حين يجد أنَّ الداعية نفسه لا يتقن اللغة العربية ، أو يتنازل عنها ، ويتنازل عن كثير بعد ذلك من حقائق الإسلام .

ولقد عرضنا حتى الآن هذا التصوّر كأنَّه نشاط فردي . ولكن هذا الأمر يأخذ صورة أصدق وأدق حين يمثل نشاط الدعاة ، نشاط الدعوة الإسلامية بامتدادها وتماسكها وتراصّ صفوفها . إنَّ أيَّ وهن واضطراب في صف الدعوة الإسلامية ، وأي تفرّق واختلاف وتنابذ ، سيؤدي إلى ضعف تبليغ رسالة الله وإلى اضطرابه ، وكذلك إلى ضعف التمسك باللغة العربية ، ثمَّ يصبح كلُّ ضعف أو خلل يُغذّي ضعفاً آخر وخللاً آخر ، وقد يفتح ثغرات يدخل منها الأعداء والمنافقون فيوهنون العزيمة ويبدأ مسلسل التنازلات عن حقائق الإسلام .

إنَّ حماية اللغة العربية في الدعوة الإسلامية يقوى ويشتد حينما تتراص الصفوف . وعندئذ يكون النهج والخطة أقوى وأسلم ، النهج والخطة التي اعتبرناها الشرط الأول للعمل في الميدان ، فبغير النهج والخطة لا يتوقّع النجاح .

ومن خلال النهج والخطة تقوم المؤسسات الإيمانية التي تقوم بأعباء محددة في ميدان الدعوة، ومنها تعليم اللغة العربية وتثبيتها في أبناء الإسلام ومن يدعوهم الدعاة .

ولقد فطن بعض الدعاة إلى أهميّة دور هذه المؤسسات الإيمانية في الدعوة كلها وفي اللغة العربية . فأقام بعضهم معاهد تدرس الإسلام وتدرّس اللغة العربية، وكانت نتائجها حميدة جيدة . ولكنها تقوى وتشتد حين تتراصّ الصفوف ، وتتلاقى القلوب ، وتلتقي العزائم في صفاء إيمان وسلامة علم .

وهذا كله يجب أن يأخذ صورة من النهج والتخطيط يقوم عليه العمل كله والفكر كله . ونقدم من أجل ذلك موجزاً سريعاً للنظرية العامة للدعوة الإسلامية ، النظرية التي تضبط العمل وتوجهه على أساس من الكتاب والسنَّة ووعي الواقع من خلالهما (١)

---

(١) تراجع الكتب التالية للمؤلف : "النظرية العامة للدعوة الإسلامية – نهج الدعوة وخطة التربية والبناء " ، وكتاب : "بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية " .

تتألف النظرية العامة من البنود التالية :

١ـ **القاعدة الصلبة** : هي جوهر الدعوة والهدف الثابت الأول لها والمنطلق لسائر الأهداف . وهي تمثل الحقيقة الكبرى في الكون والحياة . إنها قضية الإيمان والتوحيد .

٢ـ **الركنان الرئيسان** اللذان ينهضان على القاعدة الصلبة وهما : **المنهاج الرباني ، والواقع الذي يُدْرس من خلال المنهاج الرباني .**

٣ـ **القضايا والمشكلات الأربع الكبرى في الواقع أمام الدعوة** . وبها ترتبط القضايا الجزئية الأخرى، أو ترتبط بواحدة منها أو أكثر. وهذه القضايا الأربع هي: **الخلل في التصوّر لقضيّة الإيمان والتوحيد والبذل لها، الخلل في مصاحبة منهاج الله وتدبّره أو هجره، الخلل في فهم الواقع من خلال منهاج الله، الخلل في الممارسة الإيمانية .**

٤ـ عناصر التنفيذ وأدواته في الميدان ، وهي :

أ - الأسس الأربعة التي كانت هي المشكلات الأربع في الميدان ، ولكنها عند الدعاة تصبح أسساً أربعة : **صفاء الإيمان والتوحيد ، صدق مصاحبة منهاج الله ، وعي الواقع من خلال منهاج الله ، سلامة الممارسة الإيمانية وتدبُّره** . ومن هذه الأسس الأربعة تنطلق سائر عناصر التنفيذ وأدواته ، وتقوم عليها .

ب - النهج والتخطيط العام للدعوة الإسلامية ، النهج الذي يحدد الدرب والمراحل والأهداف والوسائل والأساليب وغير ذلك .

ج - النهج والتخطيط لكل ميدان تخوضه الدعوة الإسلامية مثل: ميدان الدعوة والبلاغ ، ميدان التربية والبناء والتدريب ، ميدان الأدب ، وغير ذلك من الميادين .

د - الإدارة والنظام الذي يحدّد : المسؤوليات والصلاحيات ، ويوفر الإشراف والمراقبة ، والمتابعة والتوجيه ، والتنسيق والتعاون .

هـ - ميزان المؤمن الذي يزن به المؤمن الناس لينزلهم منازلهم .

و - المؤسسات الإيمانية .

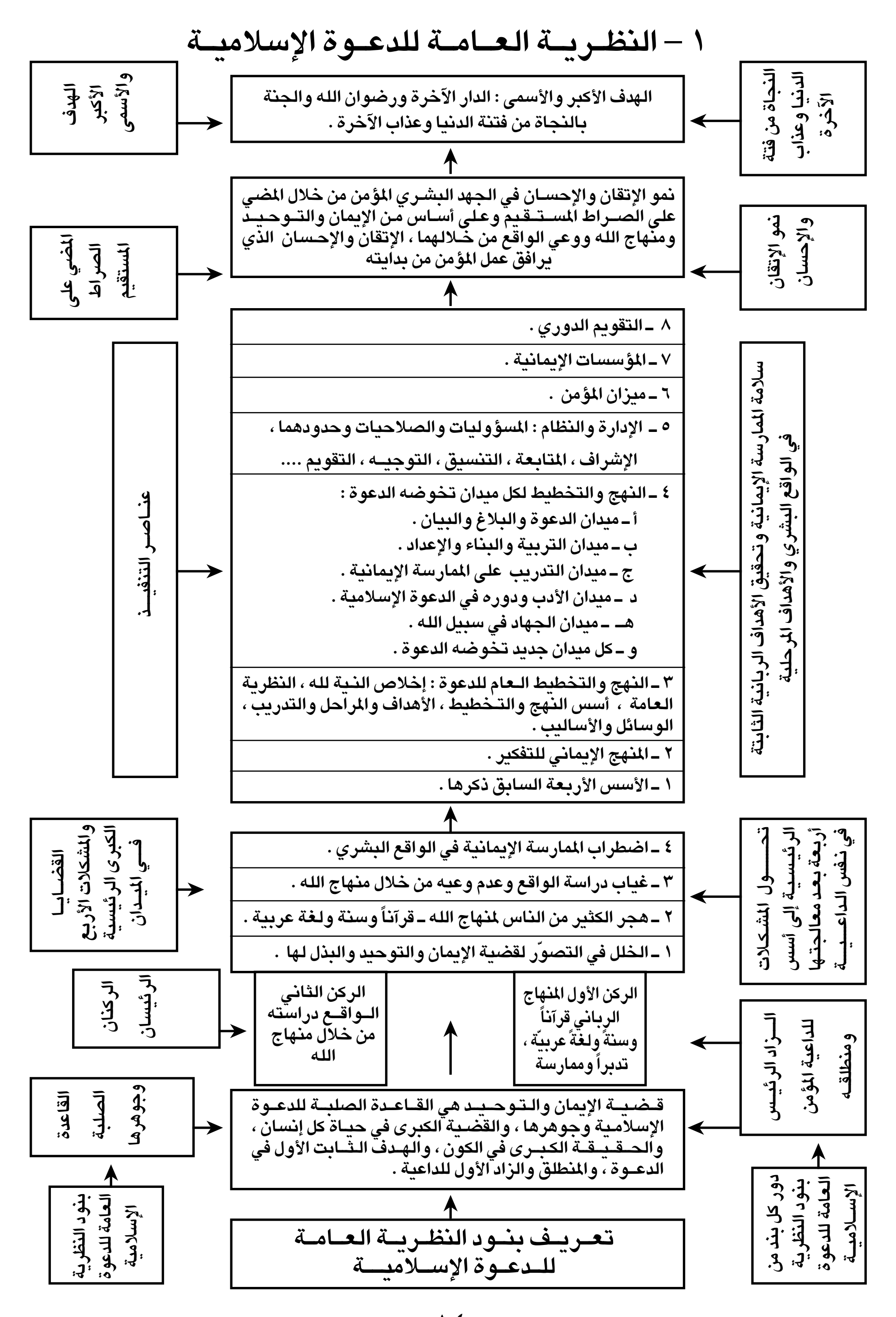
ز - التقويم الدوري .

ح - النمو والتطور في الجهد البشري على أساس الإيمان والتوحيد ومنهاج الله ، وعلى أساس الإتقان والإحسان .

ط - المضيّ على الصراط المستقيم إلى الهدف الأكبر والأسمى في حياة كلّ إنسان مؤمن : الدار الآخرة ورضوان الله والجنة ، والنجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة .

ونرفق مع نهاية هذا البحث صورة الهيكل والبناء لهذه النظريّة العامة ، يبين جميع بنودها ودور كل بند .

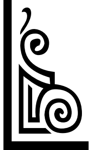
١ - النظرية العامة للدعوة الإسلامية

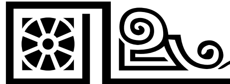




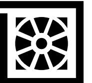
الباب الثالث

اللغة العربية والممارسة العملية لها









الفصل الأول
كيف ننمّي تذوّقَ الطفل
للغة العربية الفصيحة وقدرتَه على استخدامها

اللغة العربية الفصحى محبّبة للنفس ، سهلة على التقبّل ، ميسّرة للتذوُّق والتعلُّم والاستخدام . إلا أن واقعنا اليوم وما يمرّ به المسلمون من ضعف وهوان ، ومع امتداد اللغات الأجنبية واللغة العامية في معظم المجتمعات الإسلامية ، جعل صعوبات أمام الطفل والشباب ، أمام أبناء المسلمين بصفة عامة ، في تذوقهم أو دراستهم للغة العربية .

إن كلّ لغة تحتاج من أجل تعلُّم أبنائها لها إلى بيئة يتلقّى الطفل فيها لغته منذ صغره ، منذ طفولته . هذه البيئة المطلوبة غير متوافرة في واقعنا اليوم بالنسبة للغة العربية ، يضاف إلى ذلك أن من بين أبنائنا من تخلّى عن اللغة العربية مدّعياً صعوبتها ادعاءً لا يقوم على أساس .

ملايين من المسلمين في الأرض لا يعرفون اللغة العربية ، أصبحت لغتهم الرسمية لغة أخرى غير العربية . مما يوجد صعوبة كبيرة في نشر اللغة العربية. يضاف إلى ذلك وجود قوى شديدة تحارب الإسلام ولغته بين المسلمين ، وقامت دعوات كثيرة للتخلّي عن العربية ، أو لتغيير حروفها ، أو لتغيير حركاتها . قوى كثيرة تعمل مزوّدة بالعدة والعلم والنهج .

في هذا الجو نريد أن ننشر اللغة العربيّة ونحبّبها إلى المسلمين جميعاً ، وخاصة إلى أطفال المسلمين ، أمام تحدّيات كثيرة جداً .

ولكن الذي يسهّل الأمر أن هذه اللغة هي لغة القرآن ، لغة الذكر الذي تعهد الله بحفظه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]

ومما يسهل الأمر كذلك ارتباط هذه اللغة العظيمة بالإيمان ، بالإسلام ، والقلوب المؤمنة مازالت تخفق بإيمانها وإن كانت ألسنتها عجمت . ومازال هناك مؤمنون يعملون ويجاهدون .

ولكن لا بدَّ أن تلتقي الجهود على هذا الأمر وعلى غيره من قضايا الإسلام ، بدلاً من أن يظل كلٌّ يعمل بمفرده ، فتتناثر الجهود ويضعف أثرها .

وكذلك يجب أن يأخذ العملُ صورة الخطة والنهج حتى يتضاعف أثره وعطاؤه ، وأن يكون النهج بصورته العامة واحداً لدى الجميع . ولا نستطيع هنا في هذه العجالة إلا أن نُعْطِي ملامح عامة ، حتى تتم الدراسات المفصّلة .

إن تذوّق الطفل للغة العربية الفصيحة وقدرته على استخدامها يعتمد على عوامل رئيسة يمكن إيجازها بما يلي :

المربي وقدرته وما يحمل من خصائص تفيد في هذا الهدف ، ومدى التزامه باستخدام اللغة العربية الفصيحة ، أو المؤسسات وأمثالها .

البيئة ومدى توفيرها للجو الصالح وعدم إثارتها عقبات .

طبيعة اللغة العربية وخصائصها التي يمكن الاستفادة منها لهذه الغاية .

الطفل طبيعته وخصائصه التي يمكن الاستفادة منها في هذا السبيل .

أما المربي فلا بدَّ أن يكون هو نفسه ملتزماً باستخدام اللغة العربية الصحيحة ، ويملك القدرة على التوجيه والتربية والبناء ، أو أن يكون نال تدريبات وافية على هذه المهمة .

والبيئة هي العامل المؤثِّر بصورة مباشرة وغير مباشرة على تنمية هذا التذوق للغة العربية وعلى استخدامها . والبيئة قد تكون عائقاً أمام هذا الهدف ، حين تغزوها اللغات العامية وتسود فيها ، أو اللغات الأجنبية . ونقصد بالبيئة : البيت والأسرة ، والمدرسة والمربّين ، والمجتمع ومؤسساته الثقافية والإعلامية والتربوية .

ولقد كان بعض الخلفاء المسلمين ، وبخاصة في العصر الأموي ، يرسلون أولادهم إلى أجواء القبائل العربية حيث تكون اللغة أصفى ، ويبقون فيها مدة يتلقون اللَغة تلقّيا نقيّاً حتى تصبح طبيعة لهم . ذلك لأنهم أدركوا دور البيئة في الترغيب باللغة وتعلمها . فلا بُدَّ من توفير البيئة الصالحة لتنمية تذوّق الطفل للغة العربية الفصحى ، ولا بد من توفير التعليم مع الرعاية والتوجيه .

البيت والأسرة هو الحضن الأول للطفل ، سواءً أكان ذلك في مرحلة الحمل أَم الولادة أَم في سائر مراحل نمو الطفل التي سنأتي على ذكرها . ويتحمل الوالدان أكبر مسؤولية في تربية الطفل وتعهّده ونشأته . وبذلك جاء حديث الرسول ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال :

(ما من مولود إلا يولد على الفطرة وأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون منها من جدعاء)
[رواه الشيخان وأبو داود][1]

نستفيد من هذا الحديث الشريف عدة فوائد رئيسة : مسؤولية الوالدين ، الفطرة التي فطر الله الناس جميعاً عليها ، وأهمية دورها في التربية والبناء ، وما أودع الله فيها من قدرات وغرائز . ولنتدبر قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ – ٣٢]

فالفطرة تكون في الطفل المولود سليمة غنية بما أودع الله فيها من قدرات تأخذ بالنمو على سنن ربانية ، وأهم هذه القدرات : قوة التفكير ، العاطفة ، الغرائز المختلفة ، وقبل ذلك كله الإيمان والتوحيد كأنه النبع الذي يروي جميع القوى

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : ٥٧٨٤ .

والغرائز في الفطرة لتؤدِّي كل قوة أو غريزة دورها الذي خُلِقَتْ له ، ما دامت الفطرة سليمة لم تنحرف ولم تلوّث ولم تفسد .

وسلامة الفطرة وحمايتها من الانحراف أو التلوث أو الفساد هي الحق الأول للإنسان ، الحق الذي أهملته جميع المؤسسات الدولية أو القطرية لحقوق الإنسان .

وفي جوِّ الأسرة بين الوالدين وسائر أفراد الأسرة يتلقَّى الطفل أَول غذاء لفطرته وقدراته . وأول حاسة تنشط عند الطفل هي حاسة السمع . إنها تنشط فيه وهو جنين في بطن أمه ، ويتأثر بكل ما يدخل سمعه في هذا الجو . ولذلك كان من معجزات الرسول ﷺ أن نبَّهَنا إلى أهمية حاسة السمع ، وذلك بالتوصية بالأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى :

فعن الحسين بن علي رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال : من ولد له ولد فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان " (١) وأم الصبيان هي التابعة من الجن . فالصوت يؤثر في المولود ولو كان لا يعي معنى الكلام .

وعند الموت كان أمر الرسول ﷺ أن يُلقّن المحتضر لا إله إلا الله . فعن أبي سعيد وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم عن الرسول ﷺ قال : " **لقّنوا موتاكم : لا إله إلا الله** "[رواه أحمد ومسلم وابن ماجه والنسائي] (٢) وفي حياة المؤمن تظل الشهادتان تتردّدان على لسانه وفي قلبه . فهي السمة الأولى التي تظل ترافق المسلم منذ ولادته حتى وفاته ، مادام مسلماً مؤمناً .

فحاسة السمع ونشاطها يمكن الاستفادة منها في ترغيب الطفل باللغة العربية وبتغذية الإيمان في قلبه . فالصوت يترك أثره في الجنين وفي الطفل بطريقة ربّانية لا يدركها العلم حتى اليوم .

تقول د. آريان آيزينبرغ وزميلتاها في كتابهنّ : " ماذا تتوقع عندما تنتظر الجنين " ،

---

(١) رواه النووي في كتاب ابن السنى .

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : ٥١٤٨ .

إن حاسة السمع عند الجنين تكون قد تطورت تطوراً كبيراً مع نهاية المرحلة الثانية من الحمل أو بداية المرحلة الثالثة . فيصبح الأجنّة يسمعون ما يدور من أحاديث أو قراءات في البيت ، أو عند الأصدقاء . ويعتقد بعض الباحثين المختصين في هذا العلم أنه يمكن إثارة الجنين قبل ولادته ليكون مولوداً متميزاً " .

فالبيت والأسرة هما الحضن الأول للطفل ، للإنسان ، وما يناله في هذه المرحلة المبكرة يكون أثبت في القلب مما قد يناله في سنوات متأخرة من عمره . وصدق المثل القائل : " العلم في الصغر كالنقش في الحجر " ! فلا بد من الحرص على توفير الجو الصالح في البيت والأسرة . وإنها مسؤولية الأمة كلها والعلماء والدعاة والدولة عن العمل لبناء هذا الجو الإيماني في الأسرة المسلمة . ومن هذا الجو يتوافر كثير من العوامل التي تعين على بناء تذوق الطفل للغة العربية الفصيحة وتنميتها ، وتنمية قدرته على استخدامها .

والمدرسة جزء رئيس من البيئة كذلك ، حيث تتواصل عملية البناء للطفل بين البيت والمعهد . فتكون مسؤولية المربين في المدارس أن يتقنوا التحدّث بالفصحى ليتكونّ الجو المناسب الذي يرعى ويربى في الطفل تذوقه للفصحى واستخدامه لها .

ثم يأتي المسجد حيث يغلب أن لا يسمع المسلم في المسجد إلا الفصحى ، سواءً أكان ذلك بالقرآن الكريم أم الدروس التي تعطى فيه ، أم خطبة الجمعة أم غيرها من الأنشطة الإيمانية ، وبذلك يرتبط البيت والمعهد والمسجد برباط قوي بحيث تتعاون هذه المراكز الثلاثة فيما بينها على تحقيق الهدف .

وتمتد ميادين البيئة بعد ذلك إلى ما يشاهده الطفل على التلفاز وسائر وسائل الإعلام ، وما يسمعه من أقربائه وزملائه في حياتهم العامة .

ولكن هذه الميادين : البيت ، المدرسة ، المسجد ، المجتمع ، تكون كلها مسؤولية أُمَّة واحدة ، تحمل رسالة واحدة ، رسالة الإسلام ، وتجاهد من أجله ، فيصبح غذاء الطِّفل في جميع مراحل نموِّه غذاء صالحاً ، بالفصحى والإيمان والخلق وغير ذلك . وفي هذه الميادين كلها ، يكون هنالك المربي المسؤول .

ونودّ أن نشير هنا إلى قضية رئيسة ذلك أن المسؤولية لا تقف عند حدود المسؤولية المادية الدنيوية ، ولكنها مسؤولية ممتدة حتى الدار الآخرة ، بين يدي الله سبحانه وتعالى ، حين يحاسب كل إنسان عن عمله ونيته .

والعامل الآخر الذي يساعد على تنمية التذوق للفصحى هو طبيعة اللغة العربية نفسها ، وعظمة خصائصها ، وأعتقد أن اللغة العربية وكذلك سائر اللغات انبثقت في أول مراحل تكوينها من لغة آدم عليه السلام ، اللغة التي علمه الله إياها :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا . . . . ﴾ [البقرة: ٣١]

وخاطب الله آدم عليه السلام باللغة التي علّمه إياها ، وخاطب آدم عليه السلام ربه بهذه اللغة . ثم تعلَّمها أولاده الذين تفرّقوا في الأرض باتجاهات مختلفة ، ومع كل اتجاه أخذت اللغة تنمو وتتطور في تاريخ طويل حتى أخذت الصورة التي نجد اللغة عليها اليوم ، لغات مختلفة ، كان اختلافها آية من آيات الله :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢) ﴾ [الروم: ٢٢]

فهذه اللغات آية من آيات الله ونعمة من نعمه . فبها يتم التخاطب وتتعارف الشعوب ، وتقضى الحاجات . وللغة بصورة عامة أثرها الكبير في عملية التفكير لدى الإنسان ، حتى إن بعض العلماء المختصين ، اعتبروا اللغة هي التفكير ، وبعضهم اعتبرها وعاء التفكير . ويزداد أثر اللغة في التفكير كلما كانت اللغة أغنى وأقوى و أكثر نُمّواً .

وكان من فضل الله كذلك على الإنسان أن علمه البيان كما علمه القرآن :

﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ [الرحمن: ١ – ٤]

وإذا كان لكل لغة نعرفها اليوم تاريخ خاص تطورت من خلاله ، فللغة العربية تاريخ خاص متميز . فإذا قلنا إن أول أمرها كان مثل سائر اللغات انبثقت من لغة آدم عليه السلام . ثم تطورت حتى أصبحت اللغة العربية الفصحى على لسان إسماعيل عليه السلام :

فعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : " **أول من فُتق لسانه بالعربية المبيَّنة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة** " [الشيرازي في الألقاب][1]

ولقد كشفت الآثار أن لغة النبي صالح عليه السلام قريبة جداً من اللغة العربية الفصحى في حروفها وقواعدها ، مما يوحي أن اللغة العربية في كلّ مرحلة من مراحل نموّها كانت لغة نبيّ من الأنبياء ولغة الرسالة الربانية . وكأنها لغة النبوة في مسارها الطويل ، كما ذكرنا ذلك في فصل سابق ، حتى إذا اكتمل نضجها نزل بها الوحي الكريم قرآناً عربياً غير ذي عوج . فزادت بركتها وزاد فضلها ، وأصبحت بميزان الإسلام والإيمان اللغة المتميزة بخصائص كثيرة من حيث الجمال ، والجرس ، والبيان ، والفصاحة ، وحتى ميَّزها الله في كتابه الكريم وأثنى عليها .

﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣]

وآيات أخرى كثيرة في كتاب الله كشفت عظمة هذه اللغة التي اختارها الله سبحانه وتعالى وفضلها على لغات العالم كله . فتصبح هذه اللغة العربية منذ نشأتها قديماً وحتى اليوم لغة النبوّة الممتدة في التاريخ مع كل مرحلة من مراحل نموها ، على الشكل الذي كانت عليه في كل مرحلة .

ولما فرض الله ورسوله طلب العلم وبخاصة من القرآن الكريم بلغته العربية الفصيحة أصبحت لغةُ القرآن الكريم ، لغةَ الإسلام ، لغةَ الرسالة الخاتمة التي جاءت للعالمين ، للناس كافة :

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم ٢٥٨١) .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾
[سبأ: ٢٨]

فأصبحت بذلك لغة كلّ مسلم آمن بالله واليوم الآخر ، وهي بذلك لغة الفطرة التي فطر الله الناس عليها . فهي رحمة من الله ،وهي بذلك كله لغة الإنسان تمتد مع امتداد الدعوة والبلاغ . وبذلك يكون تقبّلها وتذوّقها سهلاً عند الطفل الذي سلمت فطرته . وهذه خاصية رئيسة لتساعد على تنمية تذوق الفصحى عند الطفل في جميع مراحل نموه .

فلم تعد اللغة العربية لغة قوم محدودين ، ولكنها أصبحت لغة الرسالة الممتدة للبشرية كلها .

وإذا استعرضنا جميع الآيات الكريمة التي تحدَّثَتْ عن القرآن الكريم ولغته العربية ، لوجدنا أن اللغة العربية من خلال كتاب الله قد ارتبطت بميادين الحياة المختلفة ، مما جعلها ميسّرة في كل ميدان : فهي مرتبطة أولاً بالقرآن الكريم ووجوب تدبره ، بالتشريع والأحكام ، بالإيمان والتوحيد ، بالتقوى ، بالدعوة والبلاغ ، بالتذكير ، بالبشرى ، بالنذر ، بالعقل بالتفكير ، وبكل مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للناس في كتابه الكريم :

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]

فحتى ننمِّي عند الطفل تذوّق اللغة العربية يجب أن ننمِّي معها خصائص الإيمان والتوحيد ، ونحمي فطرته ونغذِّي الطفل بلغة القرآن ، فذلك كله يُنمي تذوقه للغة العربية الفصيحة ، وينمّي قدرته على استخدامها ، وينمي إيمانه ، ويوفّر الحوافز الإيمانية لدى المسلم .

وعندما انطلق المسلمون بفتوحاتهم ، أصبحت اللغة العربية لغة هذه الشعوب كلها ، وتقبلوها بيسر وسهولة مع تقبّل الإسلام والإيمان . وأصبح من أبناء هذه الشعوب علماء في اللغة العربية وأدباء وشعراء .

ولقد تحدّث عن عظمة اللغة العربية كثيرون من المسلمين ومن غير المسلمين ، حديث قناعة ، وحجّة وبيان .

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " تعلّموا العربية فإنها تُثَبِّتُ العقل وتزيد المروءة " [1] وهذا نابع من ارتباطها بالفطرة والإيمان ، ومن فضل الله على الناس وعلى اللغة العربية . وقال عمر بن الخطاب أيضاً : " تعلّموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض " [2] وقال " تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه " [3] . وكأنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسَم نهجاً ووضع خطة لتعلُّم العربية وترغيبها إلى النفوس .

ومرّ عمر بن الخطاب على قوم يسيئون الرمي فقرّعهم . فقالوا : إنا قوم متعلمين . فأعرض مغضباً وقال : لخطؤكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطئكم في رميكم . سمعت رسول الله ﷺ يقول : **رحم الله امرءاً أصلح من لسانه** " ! ولحن رجل أمام رسول الله ﷺ فقال : " **علّموا أخاكم** " .

ورويَ أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : " **لعلمُ العربيّة هو الدين بعينه** " [4]

وهذه الخصائص كلها تسهل تنمية تذوق الفصحى عند الأطفال والشباب وأبناء الأمة المسلمة جميعاً .

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنه لا يحسن أن نعالج قضية تذوق الطفل للفصحى كقضية مستقلة معزولَة . كلا ! إنها جزء لا يتجزّأ من رسالة الإسلام الخاتمة ودعوته التي يجب أن تمضي في الأرض إلى الناس كافة . فمن الأهداف الربانية الأولى هي تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة كما أنزلت على محمد ﷺ وتعهّدهم عليها ، لتحقّق بذلك جوهر العبادة وغاية الأمانة وحقيقة الخلافة وضرورة عمارة الأرض بحضارة الإيمان .

(١) أخبار عمر : ص : ٢٨٢ .
(٢) البيان والتبيين : ص : ١٧١ .
(٣) أخبار عمر : ص : ٢٨٢ .
(٤) ياقوت الحموي – معجم الأدباء : ص : ١٠ .

فقضية اللغة العربية قضية مرتبطة بالإسلام وبأمة الإسلام ، وبمدى قوتها ونشاطها وامتدادها ، وقد ذكرنا ذلك في فصول سابقة .

وفي جميع هذه الحالات لا بد من توافر الطاقة القادرة على تحفيز هذه المهمة والقيام بها . وتُطْلَقُ على هذه الطاقة بصفة عامة كلمة : " المربي " ! الذي يكون حيناً الوالدين ، وحيناً آخر الأساتذة المدرسين ، وحينا آخر المؤسسات المتخصصة من ناحية والمؤسسات العامة من ناحية أخرى ، إذ يجب على الجميع تبني موضوع اللغة العربية ونشرها وحمايتها وتغذية الأطفال بها ، وتنمية تذوقها لدى الأطفال والشباب ولدى الأمة كلها .

وهذه الجهود يجب أن تلتقي كلها في نهج جامع وخطة متكاملة ، يحمل ذلك كله الوسائل والأساليب وصدق النيّة وإخلاصها لله سبحانه وتعالى .

والخطوة الأولى هي توفير **البيئة الصالحة** التي توفّر الفرصة لتحقيق هذا الهدف الكريم . البيئة في البيت والمدرسة والمسجد ، **ثم توفير الطاقات المؤمنة المدرّبة القادرة** على حسن العطاء والتربية والبناء ، والأرحام والأصدقاء جزء من البيئة التي يجب الحرص على حسن توفيرها .

ثم تبدأ الاستفادة من **خصائص الطفل وخاصة حاسة السمع** كما ذكرنا ، والاستفادة قدر المستطاع من مرحلة الجنين والولادة والطفولة الأولى .

وتبذل الجهود المنهجيّة للاستفادة من **خصائص اللغة العربية** كما ذكرنا سابقاً ، وتسخيرها من أجل هذا الهدف في جميع مراحل الطفولة .

ويجب غرس الإيمان والتوحيد كخطوة رئيسة في بناء الطفولة ، من مرحلة الجنين والولادة وسائر المراحل ، حتى يوفّر هذا العامل الحافز القوي لتذوق العربية الفصحى ودراستها واستخدامها .

كما يجب توفير البرامج والمناهج والوسائل المحدّدة لكل مرحلة من مراحل الطفولة وأول هذه البرامج توفير الفرصة لسَماع القرآن الكريم يُتلى ، وسماع

بعض الأحاديث النبوية ، وسماع قاعدة بسيطة من قواعد النحو ، ثلاثة أشياء تظل متماسكة : القرآن الكريم ، الأحاديث النبوية الشريفة ، اللغة العربية . ثم ينمو هذا المنهج مع مراحل نمو الطفل حتى يشمل التلاوة اليومية للقرآن الكريم يقوم بها الطفل نفسه على حسب مرحلة نموه ، ثم الحفظ المنهجي للقرآن الكريم ومراجعته وتعهّده ، وحفظ أو دراسة حديث شريف ، ويعلّم قاعدة مبسطة من قواعد النحوَ بأسلوب سهل مشوق . لتصبح التلاوة اليومية والحفظ والتعهد والحديث الشريف وقواعد النحو منهجاً ثابتاً في حياة المسلم صحبة عمر وحياة ، لا تتوقف حتى يلقى المسلم ربّه .

وفي مرحلة مناسبة تُختار القصائد من الشعر السهل القوي ، ليُدرس بعضها ويُحفظ بعضها على منهج محدد وخطة مدروسة .

وفي مرحلة أخرى ، يُعطى الطفل فرصة التحدّث بالعربية الفصحى بموضوع يختاره هو أو يُختار له ، ويُتجاوَز في المراحل الأولى عن بعض الأخطاء ، ويُعالج بعضها الآخر ، ويدور حوار بالعربية الفصحى بين المربي والطفل . وتكون هذه الخطوة يومية لمدة ساعة أو ساعتين حسب قدرة الطفل ، وحسب الخطة الموضوعة . ويستفاد في هذه المراحل من خصائص الطفولة وأهمها الفطرة وما أودع الله فيها من قدرات ومواهب ورغبات .

وفي مرحلة مناسبة ، تصاغ مسرحيّات قصيرة بالعربية الفصحى ، يقوم بها الأطفال أنفسهم بعد أن يدرّبوا عليها . كما يمكن أن تنظم حفلات موسمية يتحدّث فيها الأطفال بما يختارونه هم من أدب أو شعر أو موضوعات عامة ، كلٌّ على قدر جهده ووسعه وميوله .

ونؤكد أنه مع الاعتماد على السماع والتدريب على التحدث بالفصحى ، فلا بد أن يصاحب ذلك دراسة قواعد اللغة العربية ، نحوها وصرفها وبيانها ، بأسلوب مشوّق سهل ، ليمتدَّ هذا العمل في مراحل الطفولة كلها . ولا ننسى قول

عمر رضي الله عنه : " تعلّموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض " ، وقوله : " تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه " ولا ننسى قول أبي عمرو بن العلاء : " **لعلمُ العربية هو الدين نفسه** " . ويزداد تعليم القواعد بأسلوب مشوق مع نمو الطفل ونمو مداركه .

وفي مرحلة مناسبة يشجّع الطفل على المطالعة الذاتية من كتب تناسب سنه مثل القصص والسيرة النبوية ، والشعر ، والخطب ، وغير ذلك .

ومن الوسائل المشوّقة للطفل استخدام الصور الملوّنة ، والرسوم الجميلة ، والأناشيد المفيدة ، والمرح يتخلل النشاط كله .

ويجب الحرص على إبعاد المصادر المفسدة ، وإحاطة الطفل بالجو الطاهر المشرق الذي يرعى فطرته ويغذيها بكل ما هو مفيد ، حتى تظل الفطرة عاملاً رئيساً مساعداً في عملية التربية والبناء .

الفصل الثانـي

تدريس بعض العلوم بغير العربية

يميل البعض إلى تعليم بعض العلوم كالرياضيات وغيرها باللغة الإنجليزية بدلاً من اللغة العربية ، ويطرح أصحاب هذا الرأي حججاً كثيرة ، ويلقى الرأي دعماً من فئة غير قليلة في الأمة .

إذا جاز لنا أن نتمتع بحريّة الرأي المنضبطة فإننا نقول إن هذا الاتجاه خاطئ لأنه يساعد في إضعاف دور اللغة العربية ، وإضعاف الجهود المبذولة لحماية اللغة العربية .

إن تعلم اللغات الأجنبية في مرحلة محددة من مراحل الدراسة أمر، وتدريس العلوم باللغات الأجنبية أمر آخر .

إنَّ التعليم الابتدائي من أهمِّ مراحل التعليم في حياة الشاب وفي حياة الأمة كلها . ولا بدَّ أن تقرر أُمَّتُنا أنَّ اللغة العربية هي وحدها لغة التعليم في جميع مراحل التعليم ، وأنَّ الواجب هو تعريب العلوم كلها ونقلها إلى اللغة العربية .

يجب أن نتذكر أننا نحن المسلمين قضيتنا الأولى هي حمل رسالة الله كما أُنْزلت على محمد ﷺ وتعهدهم عليها لإنقاذ أنفسنا وإنقاذ الناس من عذاب جهنَّم . جميع القضايا الأخرى يجب أن تصبَّ في خدمة هذه القضيّة ، وبغير ذلك فلن يكون للجهود المبذولة في حماية اللغة العربية أي أثر حقيقي ثابت .

من الدين أن نتعلم لغة أقوام أعداء لنا أو أصدقاء ، لنستفيد من ذلك لنعلمهم لغتنا وديننا ، ونوفي بالأمانة التي حمّلنا الله إياها ، والعهد الذي أخذه منا ، والخلافة التي جُعِلَتْ للإنسان ، والعبادة التي أمرنا بها .

واللغة ذات أثر بعيد في فكر الإنسان واتجاهاته، وقد لا يكون حتى اليوم عُرِفَتْ كل آثار اللغة في الفكر ، ولكن ثبت أنَّ للغة أثراً في الفكر ودوراً في بنائه، ودوراً في نشره وإبلاغه . فالحفاظ على اللغة العربية واجب وفرض لحماية أنفسنا

وصدق انتمائنا إلى الإسلام ، ولتنمو بها ثقافتنا وعلومنا وتجاربنا في الحياة . واللغة هي أداة الاتصال بين الناس ، ووسيلة التفاهم واللقاء وحل المشكلات ، والتواصل الدائم . واللغة العربية هي التي تقوم بذلك من خلال تصور إيمانيّ ربّانيّ .

وبناء على ذلك فاللغة لها دورها الكبير في الأمة في تنمية قواها واقتصادها وعطائها المميّز لها في الحياة . واللغة العربية متميّزة في ذلك كله في المجتمعات الإسلامية كلها مهما كان جنسها عربية أو غير عربية .

فتعليم بعض العلوم بغير العربية في أي مرحلة من مراحل التعليم سيكون له الأثر السيئ على تعليم تلك المادة ، وعلى التعليم بعامة ، وعلى القدرة على الإبداع والعطاء .

إن تثبيت اللغة العربية في فطرة الطفل ، وفي نفسيته وعقله وفكره ، ضرورة حتى يستطيع المسلم عند نموّه أن يعطي عطاء إبداع ، وأن يُغْني في عطائه . وتثبيت اللغة يتمُّ كذلك بتدريس مختلف العلوم باللغة العربية . وإن تخلّفنا العلمي لا يُعقل أن يكون مسوّغاً لتخلفنا اللغوي ، ولزيادة مشكلاتنا وأمراضنا .

وكما ذكرنا في فصل سابق فإنَّ البيت والأسرة والوالدَيْن ، وكذلك المدرسة والمعهد ، وكذلك المؤسسات وجميع مراكز الأمة مسؤولة عن هذه القضية ، لتكون قضية أمة حزمت أمرها ونهضت للوفاء بعهدها مع الله .

من تجارب جميع الأمم ، لا تجد أمة تعلم العلوم بلغة غير لغتها ، فكيف إذا كانت الأمة هي الأمة المسلمة ، واللغة هي اللغة العربية .

فمن تجربتنا في التدريس ، ومن دراستنا في التربية وعلم النفس وأصول التدريس وما يتبعهما من علوم ، ومن استعراض أحوال الأمم والشعوب واستعراض تاريخنا ومسؤوليتنا الإيمانية لا ننصح أبداً إلا بشيء واحد هو أن تكون اللغة العربية هي وحدها لغة التدريس لكافة العلوم . وأيُّ خروج عن ذلك فإني أخشى أن يؤذي الأمة في واقعها ومستقبلها .

وحسب الأمة اليوم ما تلقاه من غزو متعدّد الجبهات والأشكال . فالحداثة بمختلف مذاهبها والبنيوية والتفكيكية ، وما يسمى بقصيدة النثر وبشعر التفعيلة ، وما يتزاحم علينا من مبادئ وأفكار غريبة كالعلمانية والديمقراطية ، وقبل ذلك الشيوعية والاشتراكية ، ومذاهب أخرى تنهال علينا كالأمواج المتلاطمة ، هذه كلها زحوف لا يمكن أن يصمد أمامها إلا الإسلام وإلا اللغة العربيَّة ، وأيُّ لغة أخرى في العالم لو تعرَّضت لجزء مما تعرَّضت له اللغة العربية لبادت وهلكت. ولكنَّ الإسلام واللغة العربية اللذين تعهّد الله بحفظهما ، سيواجهان تحدّيات رهيبة بقضايا أمامها ، ليكون ذلك آية من آيات الله البيّنات الدالة على عظمة الإسلام وعظمة اللغة العربية ، وقبل ذلك كله على عظمة الله الذي لا إله إلا هو .

نحن المسلمين يجب أن نكون الأمة المعلّمة، لنعلّم البشريّة كلها بلسان عربّي مبين ، نعلّم البشريّة الحقَّ من عند الله :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..... ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وتعلّم اللغة العربية سهل ليس صعباً كما يتوهّم اليوم كثيرون . وحسبنا دليلاً على ذلك سرعة انتشارها ، وتقبّل جميع الشعوب التي دخلت الإسلام لها . والأهم من ذلك خصائصها الفريدة التي تجعلها قريبة للنفس والسمع والفهم . لما تحمل من بيان متميّز اختصت به دون غيرها من اللغات ، ولما حملت من خصائص الإعراب الذي تميّزت أيضاً . الإعراب الذي يُيسّر تعلّمها ويكسبها جمالاً وحلاوةً تقربها إلى النفس .

واللغة العربيّة واسعة بمفرداتها سعةً لا تبلغها أيُّ لغة أخرى . يقول الشافعيّ -رحمه الله – في كتابه " الرسالة " : " **.... ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ولا نعلم من يحيط بجميع هذا اللسان إنساناً غير نبيّ** "(١) . وإن هذه السعة تسهّل تعليمها بما تقدّم لكل حالة حاجتها .

---

(١) د. محمد السيد علي بلاسي : "بحوث ومقالات في فقه العربية" . ص : (٩) . ويحيل هذا المعنى إلى كتاب الشافعي : الرسالة ، ص : ٤٢ .

ووضوح هذه اللغة وبيانها يسهّل كذلك تعلُّمها وتعليمها ، لأنها تقرب المعنى وتيسر فهمه بيانها . وثبات اللغة العربية في نحوها وصرفها وعروضها وسائر قواعدها ميسّراً للذكر كما قال الله سبحانه وتعالى .

فهل يُعقل أنَّ أمة لديها هذا الكنز العظيم ، اللغة العربية ، يتركها ليعلم الناشئة العلوم بلغات غير لغتهم العربية ؟! إنَّ مثلنا في ذلك مثل من كان يلبس حلّة قشيبة تكسبه وقاراً وجمالاً ، فتراه يخلعها ويلبس ممزّقة مرقّعة ، تكاد لا تستر له عورة ، ولا تدفئ له بدناً .

إنَّ هذه اللغة العربية العظيمة تناشد أبناءها المسلمين أن انهضوا واحفظوا عليَّ حقّي !

وإذا جاز في مرحلة استخدام لغة غير العربية لحاجة طارئة ، فيجب أن يكون هذا بصورة مؤقتة ، نرجع عنه سريعاً إلى اللغة العربيّة .

أما الذي لا يجوز أصلاً في أيّ حالة من الأحوال تدريس بعض العلوم بلغة غير العربية . فهذه إساءة للغة العربية نفسها ، وإساءة لمصلحة الأمة كلها .

يمكننا تعريب أيّ علم من علوم الأرض وتدريسه باللغة العربيّة ! فاللغة العربية تملك من سعة مفرداتها كما ذكرنا ، ومن أبواب الاشتقاق والنحت ما ييسّر عملية التعريب الواجبة على المسلمين .

الفصل الثالـث

اللغـة العربيـة

بين التقنية الحديثة والعولمة

لقد جابهت اللغة العربية تحدّيات واسعة جداً في تاريخ صراعها وصراع الإسلام ، إلا أنها تجابه تحدياً جديداً اليوم يختلف عن التحدّيات السابقة كلها . هذا التحدّي هو العولمة التي أصبحت الدعوة الجديدة اليوم يتولاها العالم الرأسمالي بغية فتح أسواق العالم كلها له ليسيطر عليها ، ويدع فقراء الأرض يزيدون فقراً ، وليظلّ التنافس على الثروات ، وليظلّ التنافس مصدراً دائماً لتوقّع الحروب والصراعات .

ومن أهم أخطار العولمة هي إصرارها على التصوّر المادي للحياة الدنيا ، وعزلها عزلاً كاملاً عن التصور الإيماني ، وما يتبع ذلك من إباحة الفساد والفتنة ليكون ذلك عالمياً ، ولتركيز السلطة في أيدي المجرمين في الأرض .

وبداهة أن هذه الدعوة ، دعوة العولمة ، تصطدم مباشرة مع التصور الإيماني والدار الآخرة والبعث والحساب والجنَّة والنار ، وفي أحسن الحالات تدّعي أن هذه قضيّة فرديّة ، كلُّ إنسان حرٌّ باتباع الدين الذي يريده، دون أيّ ضوابط لهذه الحريّة المتفلّتة المهلكة .

ولقد فصلت في ذلك في كتابي : " **العولمة والإسلام** " ، لبيان التضارب الواسع بين نهجين في الحياة : الإسلام والتصوّرات المادية .

ونؤكد دائماً أنَّ اللغة العربية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإسلام ودعوته وتصوراته ، والإسلام مرتبط كذلك باللغة العربية الصحيحة . ونؤكد كذلك أنَّ اللغة العربية في تاريخها الطويل ، وتاريخ المسلمين الطويل ، لعبت دوراً رئيساً في حضارة الإنسان وتطوره وتقدّمه خلال قرون طويلة ، وحملت قدرة فائقة في استيعاب أحوال الواقع البشري في مختلف ميادينه العلمية والفنية . بل كانت هي اللغة

الرائدة التي تحمل الخير والنمو والتطور للبشرية كلها . وما زالت اللغة العربية اليوم هي أفضل لغة لدى الإنسان لتعينه على التطور إلى الخير والحق .

إنَّ خطر العولمة اليوم على العالم الإسلامي أولاً ثمَّ على العالم كله واضح كلَّ الوضوح . والعولمة في أبسط معانيها وميادينها تهدف إلى فتح الأبواب والأسواق وتوفير سهولة الحركة بين الناس ، ونشر المعلومات والبضائع والخدمات ، وانتشار الشركات متعددة الجنسيات من خلال هذه الألفاظ المغرية تختفي الحقيقة المروّعة للعولمة أن هذا الانتشار وسهولة الحركة والمعلومات وغير ذلك هو خاص بأصحاب القوى المتحكمة في الأرض ، القوى الرأسمالية ، قوى المجرمين الذين لا ينظرون إلى الحياة إلا أن يستغلّوا كل ساحة وبلد ومصدر لصالحهم هم دون أن يشبعوا من النهب والاستغلال ، فكأنما يموت الناس ويعدمون بشريط ناعم من الحرير .

في ظاهر الأمر محور العولمة هو النشاط الاقتصادي ، ولكن الحقيقة هي فكرة عدوانية ظالمة تتجاوز النشاط الاقتصادي إلى النشاط الأدبي والفكري والسياسي والاجتماعي ، أو إلى كل ميدان ونشاط للإنسان تستطيع قوى المجرمين الباغين الوصول إليه . ولذلك انتشرت مصطلحات مختلفة تشير إلى ذلك مثل : العولمة الثقافية ، العولمة الاجتماعية ، وقس على ذلك .

إنَّ عولمة الثقافة تعني فرض سيطرة ثقافة القويّ على العالم ، كما هو آخذ بالبروز اليوم ، حيث أخذت الثقافة الغربيّة تمد هيمنتها ، وكذلك هيمنة اللغة الإنجليزية التي أصبحت لغة شبكة المعلومات " الانترنت " ، ولغة السينما والفن ، ولغة الدعاية والإعلان ، حتى أصبحت تهدد لغات كثيرة بالانقراض ، حتى وصف أحد الباحثين الألمان هذه اللغة " **باللغة القاتلة** " ![١]

لقد أصبحت اللغة العربية الفصيحة الآن تلقى محاولات شديدة من الإقصاء

(١) د. بن عيسى باطاهر : " الدوري الحضاري للعربية في عصر العولمة" ص : (١٣) .

والازدراء في ميادين التطور الحضاري المادّي اليوم . وهذا يثبت لنا أنَّ اللغة العربيّة ستواجه تحدِّيات كثيرةً في أجواء الفتنة والفساد والتصورات المادية . إنها لغة الإيمان والتوحيد ، لغة الوحي والنبوّة ، لغة الإسلام ، لغة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، إنها لغة الإنسان في كلِّ عصر ، وحتى في عصر العولمة.

إنَّ اللغة العربية ليست في خطر أبداً . ولكنْ أبناؤها هم الذين في خطر حقيقي محدق بهم ، آخذ بالازدياد . فاللغة العربية التي اختارها الله لدعاته ، لأمته المسلمة ، لتوفي الأمة المسلمة بالمهمة العظيمة التي أرادها الله لها . إنَّ هذه المهمة ـ تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أنزلت على محمد ﷺ وتعهدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض ، **إن هذه المهمة هي المهمة التي خلق الله الإنسان للوفاء بها في الحياة الدنيا ، فهي جوهر العبادة والأمانة والخلافة والعمارة** ، هي حقيقة الحضارة والنمو والتطور . وبغير ذلك تفسد الحياة وتنتشر الفتن وينتشر الفساد في الأرض ، من خلال شهوات متفجّرة !

لا تقوم اللغة العربية لتأخذ دورها الحضاري الحقّ إلا بقيام الأمة المسلمة الواحدة التي تحمل رسالة الله إلى الناس كافّة ، وتوفي بالأمانة والعهد مع الله سبحانه وتعالى .

إن الله سبحانه وتعالى يأبى أن تكون غير اللغة العربيّة لتحمل البيان الذي يريده الله والجمال الذي يحبه ، فهي تقوى وتنتشر بقوة الإيمان في الأرض ، بقوة الإسلام والمسلمين، وبصدق عباد الله المؤمنين .

إنها لغة طاهرة ، غنيّة ، قويّة ، تعهّد الله بحفظها مع حفظ الذكر الذي أنزله :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]

ولذلك تصبح اللغة العربية قادرة على استيعاب كل التطورات الفنية والعلمية والتقنية ، وهضمها وتحويلها إلى أدوات إسعاد الإنسان ودفعه إلى ميادين الخير والطهارة والحق .

إنَّ مشكلة اللغة العربية وضعفها الحالي لا يمكن أن يكون قضية منفردة متعلقة باللغة ذاتها . إنها قضية مرتبطة في جميع أحوالها بالإسلام وبالإنسان المسلم بالأمة المسلمة . فلا بدَّ من أن تكون الجهود والخطط كلها مترابطة متماسكة غير مفككة ولا متناثرة .

فانظر إلى الفضائيات اليوم وإلى شبكة المعلومات العالمية لترى كم هو من الضروري أن يمسك بهذه الأدوات والوسائل الإنسان المؤمن والأمة المسلمة لتتحوّل هذه الطاقات إلى خير الإنسان بدلاً من نشر العري والجنس المنحل والفساد بمختلف أشكاله وأنواعه .

لا بدَّ إذن من الإنسان المؤمن الصادق ، لا بدَّ من الأمة المسلمة الواحدة التي تكون صفّاً واحداً لا يتمزّق شيعاً وأحزاباً ، ومصالح وأهواءً .

من هنا ندرك حقيقة خطر عولمة الثقافة التي يقصد بها سيطرة ثقافة المجرمين في الأرض ليمتد سلطانهم واستغلالهم لكل القوى لتأمين مصالح فسادهم وأطماعهم وعدوانهم وظلمهم .

إنَّ عولمة الثقافة الإيمانية ، أو على الأصح عولمة العالم الإيماني ، ضرورة بشريّة لإنقاذ البشرية من هلاك محقق في الدنيا والآخرة .

إنَّ عولمة الإسلام ونشره ، وعولمة العلم به والالتزام به ، وعولمة ثقافته ، هي العولمة الضرورية للبشرية كلها . وبذلك تستطيع اللغة العربيّة أن تحتضن العلم كله والتقنية كلها ، وتستوعب التطورات كلها خيراً من أيّ لغة أخرى . إنها تقدم عندئذ إبداعات وتساهم في النمو والتطور بقدر إبداعات الرجل المؤمن ، ونموّ عطائه وتطوره .

وقد أثبت الواقع اليوم قدرة اللغة العربية على توفير خدمات للمستخدم لشبكة المعلومات " الانترنت " مثل الخدمات التي تقدّمها اللغات الأخرى ، وربما تتفوّق عليها مع تفوّق الرجل المسلم نفسه . إنَّ بطء انتشار اللغة العربية على هذه

الشبكة يعود لضعف أبنائها وبطء تطورهم وليس لضعف في اللغة العربية نفسها، ومن ناحية أخرى فإنَّ طغيان اللغة الإنجليزية سبب آخر كذلك ، وطغيان اللغة الإنجليزية نابع من طغيان أبنائها .

وقد بدأ التفكير في توظيف الحاسوب لدراسة اللغة العربية في جامعة الكويت عام ١٩٧٠م ، وشهد عقد التسعينيات صحوةً قوية وعرف اهتماماً متزايداً في استخدام العربيّة في برامج الحاسوب وتطبيقاته ،[١] وفي تعليم اللغة العربية ، وتعداد الكلمات والحروف ، والتحليل الكمّي ، والتصنيف اللغوي ، واستخدام معالج النصوص في تخزين القرآن الكريم في ثلث حجمه الأصلي ، أضف إلى ذلك برامج السنة النبوية والأحاديث الشريفة ، وغير ذلك من الموضوعات الإسلامية الهامة .

وهذا كله يدل على قدرة اللغة العربية في ميدان النمو والتطور مثل قدرة الإنسان المؤمن في ذلك . والدور الهام للغة العربية هو تقديم الإسلام للناس كافّة بلغته الحقيقية . وقد نما عدد المواقع باللغة العربية والمواقع الإسلامية نمواً كبيراً في السنوات الأخيرة وهو مقبل على نمو متزايد .

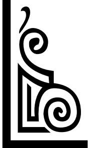
ويساعد على ذلك كله أن عدد الذين يمكنهم استخدام العربيّة في مجال الاتصال حوالي (١٣٠) مليون شخص في العالم .[٢] ومع ذلك نلاحظ أن وجود اللغة العربية ما زال متواضعاً لا يتناسب وحجم المسلمين في الأرض ، الذين يتجاوز عددهم المليارين ، ولكن كثيراً منهم يمثّل قوى عاطلة أو معطلة بين جهل عام وجهل غالب باللغة العربيّة وبالإسلام .[٣]

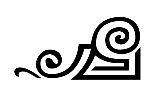
(١) مرياتي محمد : "الأعمال الإلكترونية والوطن العربي" مجلة المعلوماتي الحاسوب والتقنيات (سوريا) - العدد (٩٣) سنة ٢٠٠٠م ، ص : (٢٣) .
(٢) المصدر السابق ، ص : (٤٣) .
(٣) المرجع السابق ، ص : ٣٣ .

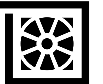


الباب الرابع

لماذا يحاربون اللغة العربية ؟!









الفصل الأول

لماذا يحاربون اللغة العربية ؟!

ليست الحرب على اللغة العربيّة ناشئة بسبب اللغة العربية نفسها ، وليست هي المقصودة أساساً بالحرب . إنها جزء من مشروع متكامل عمل عليه أعداء الإسلام طويلاً ، مستفيدين من تجاربهم الطويلة مع الإسلام والمسلمين . إنها الحرب الممتدّة على الإسلام وما يمتُّ له بصلة .

لقد بدأت الحرب على الإسلام منذ اللحظة الأولى لبعثة النبيّ محمد ﷺ ، بدأ هذه الحرب مشركو قريش ومن تبعهم من قبائل الجزيرة العربية . ثمَّ انضمَّ إلى المعركة اليهود الذين أحسن إليهم الإسلام وعدل معهم . وشارك في هذه الحرب الممتدّة على الإسلام المنافقون من العرب الذين أظهروا الإيمان وأخفوا الكفر ، والذين كشفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنَّة نبيّه محمد ﷺ ، وكشفتهم مواقفهم في كثير من الأحداث . ثمَّ انضمَّ إلى هذه الجبهة الدول الكبرى القائمة آنذاك : الرومان والفرس . وكتب الله النصر للمؤمنين المتقين الصادقين في هذه المعركة الممتدّة ، وهزم آنذاك جميع هؤلاء وأعزَّ الله دينه ، وقامت أمته ـ أمة الإسلام تحمل رسالة الله إلى النَّاس كافّة كما أُنْزلت على محمد ﷺ ، وعد الله المؤمنين الصادقين وهم صفّ واحد كالبنيان المرصوص بالنصر ، إذا توافرت فيهم شروط الإيمان المفصّلة في الكتاب والسنَّة ، وعداً حقاً من الله سبحانه وتعالى.

وامتدت هذه الحرب على الإسلام على مدى السنين لم تتوقف أبداً وإنما أخذت صوراً متعددة وأساليب متطورة تحمل الحقد والتصميم . وظلت هذه الفئات نفسها تقود المعركة ، يبرز واحد منها في عصر ، ويبرز آخر في عصر آخر ، ويجتمعون كلهم حيناً آخر ، كما اجتمعوا في معركة الأحزاب . وكأنَّ معركة الأحزاب حول المدينة المنورة ماضية مع التاريخ . هذه الفئات : الكافرون والمشركون ، المنافقون ، أهل الكتاب ، الدول الكبرى .

ما سبب هذه الحرب وما سبب هذا الإصرار ؟! أعتقد أن السبب الرئيس شعور هؤلاء أنَّ الإسلام الذي أُنْزِلَ على محمد ﷺ يحرمهم من سلطانهم الباغي ، وعدوانهم الظالم . وأكسبتهم التَجربة خبرة في أنه يتعذّر الوصول إلى حل وسط مع هذا الإسلام الذي جاء بالحق المطلق ، يرفض المساومة على أسسه ونهجه ، فلم يكن أمام هؤلاء المجرمين الممتدين في الزمن والأرض إلا محاولة اجتثاث الإسلام والمسلمين ليخلُوَ لهم الجوّ فيمارسوا الظلم والعدوان ونهب الثروات . ومن أجل ذلك كانوا يضعون الخطط ويجدِّدون الوسائل والأساليب . إنّما كلّ ذلك كان ينحصر في قضايا محددة :

١ ـ إثارة الفتن والفساد بين المسلمين بكلِّ أنواعها وأساليبها .

٢ ـ الغزو العسكري والاحتلال والبطش .

٣ ـ الغزو الفكري ليبدّل هذا الغزوُ فكرَ المسلمين ويوهن قواهم ويفرّقهم شيعاً وأحزاباً ، وليطرح مبادئ بديلة عن الإسلام كالديمقراطية والعلمانية والاشتراكية والشيوعية والعولمة .

٤ـ تجهيل المسلمين بدينهم وبكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وبلغتهم .

نخلص من ذلك إلى أنَّ الحرب هي في الأصل حرب على الإسلام الذي وجدوه يقف أمام أطماعهم وجشعهم وعدوانهم وظلمهم في الأرض ، ونشرهم الفساد والانحلال الجنسي والإباحية ، ونشرهم الإلحاد في الأرض بأساليب متنوعة مغرية ، كالعلمانية وغيرها . ولكن براعة هؤلاء المجرمين لم تقف عند هذا الحد، وإنما برزت في قدرتهم على تزيين هذا الباطل واستدراج الناس إليه بوسائل شيطانية كثيرة ، كادعاء أنَّ العلمانية مساوية للإسلام في مقصودها ، وكمحاولتهم شراء ضمائر الناس ليعينوهم في باطلهم هذا . وقد وجدوا الكثيرين . وإنّما هي فتنة وابتلاء من الله يمحّص بها عباده لتقوم الحجة عليهم أو لهم يوم القيامة .

ومن خلال خبرة هؤلاء المجرمين وطول تجاربهم مع الإسلام والمسلمين

وجـدوا أنَّ من أهمِّ مـصـادر قـوّة المسلمين تمسّكهم بكتـاب الله وسنَّة نبيّـه ﷺ، وتدبرهما وممارستهما في واقع الحياة . ووجدوا أنَّ مصدر هذا التمسّك بالكتاب والسنَّة عاملان رئيسان : أولهما صدق الإيمان بالله واليوم الآخر ، وثانيهما : اللغة العربيَّة التي نزل بها الوحي الكريم قرآناً على محمّد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

إذن فليوهنوا إيمان المسلمين بشتى الوسائل ، وليوهنوا صلتهم باللغة العربية التي بها وحدها يتلى كتاب الله ويتدبّر . ومن هنا بدأت الحرب على اللغة العربية حرباً شرسة يخطط لها شياطين الإنس والجنّ ببراعة وصبر ، كما يخططون في الوقت نفسه لتوهين إيمان الناس بالله واليوم الآخر . وهذا المسعى يعين في تحقيق المسعى الآخر ، فتوهين إيمان الناس يساعد على توهين اللغة العربية وتوهين اللغة العربية يساعد على توهين الإيمان والتوحيد في النفوس . بل كان الأمر أخطر من ذلك ، فإنَّ توهين صلة المسلم باللغة العربية وتجهيله بها يعزله كليّة عن الكتاب والسنَّة عزل تلاوة وتدبّر وممارسة . وعزل المسلم عن الكتاب والسنَّة يوهن إيمانه بالله واليوم الآخر . فأصبحت قضية اللغة العربية بالنسبة للإسلام والمسلمين قضيّة أساسية ، قضية حياة أو موت .

هذه المعركة استغرقت قروناً طويلة جداً ، حتى أفلح المجرمون في الأرض في تجهيل بعض المسلمين وعزلهم عن لغة القرآن والسنَّة ، وفي إضعاف إيمانهم بالله واليوم الآخر من خلال جهد دؤوب وإصرار وعزم ، وتخطيط ودراسات ، واشترك قوى كثيرة جداً في تحقيق ذلك .

تاريخ هذه المعركة طويل ، ولكنّه جليٌّ واضحٌ إلا في قلوب الذين فُتنوا بحضارة الغرب ورأوا أنَّ هذه الحضارة المادية أهمُّ من الإيمان والإسلام . فانتشرت النظرة المادية للحياة معزولة عن الدار الآخرة والموت وما بعد الموت من بعث وحساب وجنَّة ونار . وانتشرت هذه النظرة المادية القاتلة انتشاراً واسعاً. ولم يكن ذلك بسبب مهارة المجرمين في الأرض وحدهم ، ولكنها بسبب وهن المسلمين وضعفهم الذي أخذ يزداد وينمو مع الأيام ، حتى تفرّقوا شيعاً وأحزاباً وأقطاراً ،

وأهواءً ومصالح تتصارع ، وحتى وصلوا إلى ما هم عليه اليوم ، من تمزّق وهزائم متلاحقة وضياع أوطان ، وتدمير ديار وتدفّق دماء المجازر والفواجع والنكبات .

فلا عجب بعد ذلك أن ترى اللغة العربية اليوم قد ضعفت ضعفاً مذهلاً بين أبنائها ، فعجمت ألسنة الكثيرين وغلب الجهل بها .

والظاهرة الواضحة العجيبة هي أنَّه مع اشتداد الدعوة إلى القوميّة العربيّة والعروبة وجميع مصطلحاتها ، مع هذه الدعوة ضُرِبَت اللغة العربية وضعفت وبلغت أشد درجات الضعف . ادَّعوا أنَّ اللغة العربية هي التي تجمعنا وليس الدين، فكانت النتيجة أن فقدنا العاملين نسبياً ومرحليّاً . ذلك لأنه لا بدَّ أن ينتصر الإسلام ولا بدَّ أن تنتصر اللغة العربية ، وإنَّما هي مرحلة ابتلاء وتمحيص على سنن لله ثابتة .

بلاد العرب أوطاني — من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن — إلى مصر فتطوان
فلا حدٌّ يباعدنا — ولا دينٌ يفرّقنا
لسان الضاد يجمعنا — بغسان وعدنان

هذا الشعار امتدَّ أنشودة ملأت الأسماع والأبصار ، فتحقّق بها الشطر الأول " **فلا دين يفرّقنا** " ، ولم يتحقق الشطر الثاني عن اللغة العربية : " **لسان الضاد يجمعنا بغسان وعدنان** " ! فلم يجمعنا اللسان وتفرّقت الأمة ، وقامت دعوات تزيد تمزيق الأمة وتعزلها عن تاريخها ، وعن غسَّان وعدنان !

وتعدّدت القوى التي تحارب اللغة العربية من أفراد وجماعات ومؤسسات ودول ، وحركات فكرية ومذهبية ، وأسوأ ما في الأمر أن غلبت العصبية الوطنية الجاهلية بين بعض المسلمين وشدّتهم إلى مسارات مختلفة ، فزادت الفرقة بين المسلمين ، وزاد تسلل المجرمين . فاستبدلت شعوب لغتها الوطنية بالعربية ،

أو استبدلتها بلغات أجنبية ، واستمرَّ هذا الحال يزداد خطوة خطوة ومرحلة مرحلة، حتى صارت بعض اللغات الأجنبية هي الأولى في هذا القطر أو ذاك .

ومما سهّل الأمر انتشار اللغة العامية بين العرب أنفسهم حتى أصبحت هي لغة التخاطب بين الناس . وانحسرت اللغة العربية الفصحى عن واقع المسلمين ، وعن واقع العرب ، وامتدت العامية من خلال تاريخ ليس بالقصير . واقترنت الدعوة إلى اللغة العامية بالدعوة إلى ما يزعمونه من حركات تجديد وإصلاح ، وما هي إلا حركات تهديم وتغريب وتبعية .

ولا نقصد باللغة العامية وجود لحن عند بعض الأفراد ، فتلك ظاهرة قديمة في تاريخ اللغة العربية . فقد روي أن لحن أحدهم بحضرة الرسول ﷺ فقال : " **علّموا أخاكم** " . وظهر اللحن مع الدولة الأموية حتى كان بعض الخلفاء يرسلون أولادهم إلى البادية لتستقيم ألسنتهم على اللغة العربية الفصيحة . ولا نقصد بالعامية اللهجات المختلفة التي ظهرت بين القبائل العربية . إنّما نقصد اللغة العامية التي نراها اليوم وقد ابتعدت عن الفصحى بمعظم ألفاظها وتراكيبها حتى كأنها لغة جديدة لا يكاد يكون بينها وبين لغة القرآن صلة إلا صلة واهية لا تعين على تدبر كتاب الله .

وقد اهتمت الدول الغربية باللغة العامية واهتمّت بنشرها بين العرب والمسلمين ، وحرصت على تدريسها لبعض أبنائها كالقناصل وأمثالهم . ففتحت مدارس لتعليم اللغة العربية العامية في إيطاليا والنمسا وفرنسا وروسيا وألمانيا والمجر وإنكلترا وغيرها من البلدان . وأخذ هؤلاء يغذّون العامية في البلاد العربية والإسلامية . ثمَّ تعدّدت اللغة العامية إلى لهجات مختلفة باختلاف الأقطار. وظهر من العرب أنفسهم من وضع كتباً حول اللغة العربية العامية ولهجاتها المختلفة بإيعاز من الدول الأجنبية ، مثل محمد عياد الطنطاوي ، وميخائيل الصباغ ، وأحمد فارس الشدياق ، وآخرين . ثمَّ قامت دراسات حول اللهجات العامية المختلفة كاللهجة المصرية والسورية والعراقية والتونسية والمراكشية وغيرها .[1]

(١) د. نفوسة زكريا سعيد : "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر" . ط٢ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

ونلاحظ من تتبع هذا التاريخ الطويل شدة ارتباط محاربة اللغة العربية الفصيحة بمحاربة الإسلام ، وارتباط ذلك كله بالمراحل التي مرَّ بها العالم الإسلامي ، حين أحاطت به القوى الغربية النصرانية من جميع جهاته : من جنوب شرق آسيا إلى الخليج العربي إلى بلاد الشام ، إلى شمال أفريقيا ، حتى وجّهت الضربة الأخيرة في تقسيم العالم الإسلامي ، وعزل العالم العربي عن العالم الإسلامي ، ثمَّ بإسقاط الخلافة الإسلامية في لحظة أصبحت معظم الشعوب الإسلامية واهية مستسلمة أو مخدّرة !

وقامت محاولات وحركات لمحاربة اللغة العربية مثل محاولة تغيير الأحرف العربية إلى أحرف لاتينية ، وتغيير قواعد النحو والصرف ، وتسكين آخر الكلمات للتخلّص من النحو ، ومحاولات أخرى يمكن تتبعها من مصادرها ، ولكنها بصورة عامة فشلت .

ومع شدّة هذه المعركة واحتدامها سراً وعلانية ، فقد وقفت اللغة العربية الفصيحة تتحدَّى هذا الهجوم الشرس ، وتصمد له في المعركة ، والمعركة ما زالت ماضية على أشدها حتى هذه اللحظات ، تستنهض همة المؤمنين الصادقين لينزلوا الميدان بنهج وخطة وعمل واحد .

المعركة واسعة ، والتحديات واسعة أيضاً . فقد اقترنت الدعوة إلى العامية بالحركات الكثيرة التي أخذت تظهر مع القرن التاسع عشر في محاولات منهجيّة لتهديم حياة المسلمين وإيمانهم وفكرهم ولغتهم ، حتى ظهرت حركة الحداثة في مذاهبها المختلفة تدّعي أنها حركة تجديد فكري ولغوي ، وما هي إلا تقليد أعمى للغرب دون وعي ولا حذر . وتبنّت هذه الحركات الدعوة إلى تجديد الأدب العربيّ بقطع صلته بالأدب العربي الإسلامي الصحيح الذي يسمونه الأدب العربي القديم ، والتطلع إلى أدب عربي جديد يرتبط بالغرب وحركاته الأدبية المضطربة التي ترتبط جذورها كلها بالوثنية اليونانية وأساطيرها وخرافاتها .

وقد قامت جمعيات متعددة لحماية اللغة العربية مثل جمعية حماية اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ، والتي أسست في [١٢/ ٩/ ١٩٩١م]. وهذه خطوة مباركة طيبة في اتجاه العمل المؤسسي الضروري لحماية اللغة العربية .

وكذلك " **نهج مدرسة لقاء المؤمنين** " التي جعلت اللغة العربية الصحيحة ودراستها والتدريب عليها جزءاً من المنهاج الفردي الذاتي للمسلم ، وكذلك منهج لقاء المؤمنين حيث يُمْنع التكلم بين الأفراد إلا باللغة العربية الصحيحة ، مع التدريب على ذلك ، ومع تعليم اللغة العربية : قواعد وأدباً إسلامياً ، وبلاغة وبياناً، وخطّاً .

الفصل الثاني
وجوب التكلم بالفصحى
ووجوب دراستها وحمايتها والدعوة إليها*

للُّغة بصورة عامة أثرها الكبير في حياة الإنسان ، فبها يتم التخاطب والتعارف والتفاهم وقضاء الحاجات وتطوير الحياة وميادينها . ومن بين أهم آثارها أثرها في عمليّة التفكير لدى الإنسان ، الأثر الذي تناول دراسته عدد من العلماء والفلاسفة ، حتى إن بعضهم اعتبر اللغة هي التفكير ، فاندماج التفكير باللغة تام عند هؤلاء ، بينما يرى آخرون أن اللغة هي وعاء للفكر ، ويزداد أثر اللغة بالفكر كلما ازدادت اللغة نمواً وقوة وخصائص .

ثمّ إن اللغات في حياة البشرية مختلفة ، حتى كان هذا الاختلاف آيةً من آيات الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢]

ولقد سبق أَن بيَّنّا أنه يمكن أن نعتبر جميع هذه اللغات في جذورها نابعة مما علّمه الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام .

وخاطب الله آدم عليه السلام ، وخاطب آدم ربّه ، وتخاطب أولاد آدم ، وتحاور ولداه بهذه اللغة ، ثم تفرّق أبناؤه في اتجاهات مختلفة في الأرض ، فتطورت اللغة مع كل اتجاه ، ونمت لغة كل قوم حسب مسيرتهم وبيئتهم على سنن ربّانية ماضية ، لا نعلم تفصيلات ذلك ، إلا أن المسيرة انتهت بلغات مختلفة كان اختلافها آية من آيات الله للعالمين . ولكننا نعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلمه البيان ، وعلمه القرآن ، فاقترن خلق الإنسان بتعليمه البيان :

* محاضرة ألقيت في مدارس منارات الرياض بمدينة الرياض ، في يوم الأحد ١٩/ ١١/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٦م .

﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾
[الرحمن: ١ – ٤]

ونزل بها الوحي الكريم لتحمل رسالة الله إلى البشرية كلها حتى قيام الساعة ، لساناً عربيّاً :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾
[سبأ: ٢٨]

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم لساناً عربيّاً للناس كافة ، فارتبطت اللغة العربيّة بذلك بالإيمان والتوحيد ، والقرآن الكريم ، وبميادين متعدّدة في الحياة .كما سبق ذكره في فصول سابقة .

فارتبطت اللغة العربية ، بميادين شتى من الحياة وأمور متعددة . ارتبطت : بالقرآن الكريم ، بالتشريع والحكم ، بالإيمان والتوحيد والتقوى ، بالدعوة والبلاغ والبيان ، بالتذكير ، بالبشرى والنذر ، وكذلك بكل مثل ضربه الله للناس في كتابه الكريم . فارتبطت بذلك بجميع ميادين هذا الدين العظيم وجميع ميادين الإنسان ، وجميع ميادين الحياة، وارتبطت بالإنسان ، بخلقه وحياته ومماته ، فأصبحت اللغة العربيّة في ميزان الإسلام هي اللغة العالمية تمضي مع امتداد الرسالة الربانيّة وامتداد منهاج الله ، فأصبحت لغة الإنسان، وأصبحت بفضل الله لغة الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وأصبحت تحمل الحقيقة الكبرى في الكون، والقضية الأخطر في حياة كل إنسان.

ولخطورة هذه القضية بالنسبة لهذا الدين ، وبالنسبة للإنسان ومصيره بين يدي

الله ، وبالنسبة للدعوة الإسلامية وأهميتها في إنقاذ الإنسان من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة ، فقد تعهّد الله بحفظ هذا الذكر قرآناً ولغة عربية :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر: ٩]

ولا يُعقل أبداً أن ينزل الله لعباده كتاباً لا يُفهم ولا يُتدبَّر ، وقد أنزله للناس كافّة على مدى العصور حتى قيام الساعة . إنّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل هذا القرآن العظيم معجزاً لا يستطيع أحد من الإنس والجنّ أن يأتيَ بمثله ، ولكنه مع إعجازه هذا جعله الله ميسّراً للذكر ، للتلاوة والتدبر، والحفظ والتعهّد، وللممارسة في الواقع في ميادين الحياة :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾ [القمر: ١٧ , ٢٢ , ٣٢ , ٤٠]

ولقد تكررت هذه الآية الكريمة في سورة واحدة هي سورة القمر أربع مرات . ولا يكرر القرآن الكريم آية أو نصّاً فيه إلا للأهمية القصوى . فكذلك في سورة الشعراء تكرر قوله سبحانه وتعالى : " **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم** " وفي سورة الرحمن تكرر قوله سبحانه وتعالى : " **فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان** " . ولذلك جاء أمره سبحانه وتعالى بتلاوة القرآن الكريم وتدبره :

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) ﴾ [الكهف: ٢٧]

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد: ٢٤]

ويتأكد هذا الأمر بآيات وأحاديث كثيرة ، بعد أن يسّر الله القرآن الكريم للذكر . ولكن كثيراً من الناس اليوم لا يشعرون بأن القرآن الكريم ميسّر للذكر . وسبب ذلك أنهم فقدوا أحد الشرطين أو الشرطين معاً اللذين جعلهما الله سبب التيسير . فقد جعل الله لتدبّر كتابه **مفتاحين** ، يعملان معاً ، لا يُغني أحدهما عن

الآخر . هذان المفتاحان هما : **صدق الإيمان وصفاؤه ، وإتقان اللغة العربية** . وقد سبق بيان ذلك في فصل سابق .

فارتبطت اللغة العربيّة هنا بالقرآن الكريم ، بالعقل : **لعلكم تعقلون** ، وبالفكر والتفكير : " **ولعلهم يتفكّرون** " .

هذه هي منزلة اللغة العربية عند الله ، وفي دينه الإسلام . وهبها الله من الخصائص المميّزة التي شرفها الله بها والتي اختارها بها وفضلها على سائر اللغات .

وقد تحدّث عن عظمة اللغة العربية كثيرون من أئمة الإسلام وعلماء اللغة ورجال الغرب ، مما يطول عرضه . ولكن نذكر بعض هؤلاء : الإمام الشافعي(٢٠٤هـ) ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) وكثيرون آخرون . ومن المستشرقين : آرنست رينان ، وغليوم بوستل الفرنسي ، والمسيو بارثلمى هربلو الذي قال : " **إن اللغة العربية أعظم اللغات آداباً ، وأسماها بلاغة وفصاحة ، وهي لغة الضاد** " وآخرون . وحسبنا دليلاً على عظمتها وتميّزها أن الله سبحانه وتعالى اختارها لرسالته لتكون رسالة للعالمين .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : **تعلّموا العربيّة فإنها تثبِّت العقل وتزيد المروءة** [١] . وقال : " **تعلَّموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض** "[٢]. وقال : " **تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه** [٣] " .

وقيل :

لا خير في المرء إذا ما غدا لا طالب العلم ولا عالما[٤]

ولما امتدت الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية إلى شعوب مختلفة،

(١) أخبار عمر : ص : ٢٨٢ .
(٢) البيان والتبيين (ص : ١٧١) .
(٣) أخبار عمر : ص : ٢٨٢ .
(٤) معجم الأدباء : ١/ ١٨ .

أصبحت اللغة العربية لغة تلك الشعوب التي آمنت ، دون أن يصدر قرار أو إكراه من سلطان، ولكن ذلك كان استجابة القلوب التي آمنت بربها وبدينه الإسلام، ورأت الإسلام مطبقاً مع الدعاة المقبلين ، والتي عرفت أن اللغة العربية بها وحدها يُتدبَّر كتاب الله .

واللغة العربيّة تجد اليوم تحدّيات كثيرة . وأقسى هذه التحدّيات إساءة بعض أبنائها لها . وإنها مسؤولية كلِّ مسلم أن ينهض للدفاع عن لغة القرآن وحمايتها . وإن أساس هذا الدفاع وهذه الحماية أن يكون عملاً منهجيّاً يمضي على خطة ، تدفعه النيّة الصادقة والعزيمة الصادقة . وأول خطوة في هذا النهج هي منك أيها المسلم ، حين تبدأ بنفسك لتتقن اللغة العربية نطقاً وحديثاً وأدباً . تتدرّب على استخدام اللغة العربية الفصحى في بيتك ومدرستك وحياتك كلها . ثم تنطلق لتستكمل عملك بلغة القرآن ، وتدعو غيرك وتعينه على ذلك ، حين تدرك أن هذا العمل عبادة لله وطاعة له وجهاد في سبيله .

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : " **المجاهد من جاهد نفسه في الله** " .

فجاهدوا أنفسكم وانطقوا العربية الفصحى ، واحموا لغة دينكم وبذلك تحمون دينكم . لينطلق هذا كله من إيمان بالله صادق ويقين حق ، وإيمان بأن اللغة العربيّة مرتبطة بالإيمان والتقوى . ومن هذا الإيمان واليقين تنطلق النيّة الواعية الصادقة تحمل العزيمة والتصميم والحوافز الإيمانية والمبادرة الذاتية بأن لا تتكلموا إلا باللغة العربية الفصحى . فأصلحوا من لسانكم كما أمر رسول الله ﷺ في حديثه الذي سبق ذكره : " **رحم الله امرءاً أصلح من لسانه** " !

إن هذه الخطوةَ المباركةَ دفاعٌ عن دين وعن أمة وعن تاريخ ، إنه واجب شرعيٌّ على كل مسلم . ولن تكون وحدك في هذا الأمر ، فمعهدك يدرّبك ويعلمك ويعينك ، وإخوانُك ، ومَنْ حولك من العلماء ، وإنها مهمّة يجب أن تتعاون الأمة كلها عليها ، فكن أنت الانطلاقة إلى ذلك بعزمك وصدقك وبَذْلك .

إنها ليست مهمة آنيّة تنتهي بين ليلة وضحاها ، ولكنها مهمة عمر ممتد لتكون جزءاً من منهج متكامل لا تنفصل عنه ، منهج يجمع الأسس كلها والخطوات كلها لنصرة دين الله وإعلاء كلمته .

وإنّ أول خطوة في هذا النهج مصاحبة منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربيّة ـ صحبة عمر وحياة ، صحبة منهجية ، صحبة لا تتوقّف حتى يلقى المسلم ربّه . إن كتاب الله يقوّم اللسان ، ويدرّبك على اللغة الفصحى ، ويُغني القلب ، ويوفر لك الزاد العظيم على درب الحياة . ومن خلال هذه الصحبة المنهجية الممتدة لمنهاج الله تعرف مسؤولياتك الفردية التي وضعها الله في عنقك والتي ستحاسَب عليها بين يدي الله ، يوم لا يُغني مولى عن مولى شيئاً .

وإن كان هذا الخطاب موجَّهاً إليكم أيها الشباب المؤمنون ، فإنه في الوقت نفسه نداء لكل مسلم ، نداء للوالدين في البيوت ، والأساتذة في المعاهد ، ورجال الإعلام في ميدانهم ، فكلنا مسؤولون عن ذلك ومحاسبون .

وفي الحقيقة فإن كل أمور التربية والبناء في الأمة تبتدئ في البيت والمعهد ، والوالدان مسؤولان عن ذلك ومحاسبان ، ليحفظا لأبنائهم الفطرة السليمة التي فطرهم الله عليها ، ويزودانهم بالزاد الطاهر النظيف الغني . والمربون كذلك مسؤولون ومحاسبون. فإن أوّل حق من حقوق الإنسان في ميزان الإسلام هو حماية الفطرة التي فطر الله الناس عليها من أن تشوه أو أن تفسد . والآباء والمربون مسؤولون ومحاسبون عن حماية الفطرة كذلك . وهذا الحق الأول أهملته جميع لجان حقوق الإنسان الدولية .

وبحماية الفطرة يقوى المسلم على التكلم باللغة العربيّة الصحيحة ، ويقوى على فهم اللغة العربيّة الفصيحة ومعرفتها ومعرفة أساليبها وبيانها ليسهل من خلال ذلك تدبّر كتاب الله وسنة نبيه ، ولتتفتح المواهب والقدرات !

الفصل الثالث
اللغة العربية ومسؤولية المسلمين

لقد ذكرنا قبل قليل بعض مسؤوليات المسلمين نحو اللغة العربية . إنها في الحقيقة مسؤولية كل مسلم مهما كان جنسه ومهما كانت أرضه ولغته القومية . إنها مسؤولية نابعة من حقيقة الإيمان والتوحيد .

فلما كانت اللغة العربية لغة العبادة والطاعة ، لغة الصلاة والدعاء المأثور، ولما كانت العبادة مفروضة على كل مسلم ، فقد أصبح من واجب كل مسلم أن يتقن اللغة العربية لتستقيم صلاته وعبادته ودعاؤه ، وليستقيم أداؤه لسائر الشعائر، ولينمو خشوعه في الأداء .

ولما كانت تلاوة القرآن الكريم وتدبّره مفروضة على كل مسلم ، فأصبح من واجب كل مسلم أن يسعى لدراسة اللغة العربية وإتقانها في حدود وسعه وطاقته ، حتى يُحسن التلاوة ويصدق التدبّر .

ولَمَّا كانت الشعائر والخشوع في أدائها ، وتلاوة القرآن الكريم وتدبّره ، معالم واضحة على طريق الجنَّة ـ الهدف الأكبر والأسمى للمسلم ـ أصبح من البداهة أن يسارع المسلم الصادق إلى دراسة اللغة العربية وإتقانها ، لتكون مسيرته إلى الجنَّة أقوى عدّة وأكثر زاداً .

لا نقول إنَّ المسلم الذي لا يعرف العربية كفر وخرج من الإيمان . كلا ! إنا لا نقول هذا ، ولكننا نقول إنَّ الخسارة ستكون كبيرة جداً ، وإنه معرّض لخطر كبير .

وإنَّ من أخطر القضايا في الإسلام هي قضية الإيمان والتوحيد قضية مفاصلة وحسم ، وقضية تكاليف والتزام ، وقضية مسؤولية وحساب . والمصدر الحق لهذا كله هو القرآن والسنَّة باللغة العربية ، ليتلقّى المسلم الصادق رسالة الله كما أُنْزلت من عند الله ، وليكون التبليغ من الداعية والتلقِّي من المقبل أميناً دقيقاً، وحتى

نفوّت كلَّ فرصة على التحريف أو الخطأ في التبليغ والتلقّي ، وحتى يكون المسلم أقرب للتقوى ، وأقرب للسلامة في فهم أخطر قضية في الحياة وأكبر حقيقة في الكون ، فالتلقي بغير اللغة العربية يعرّض المسلم لاحتمالات سيئة كثيرة أولى به أن يتجنبها .

إنَّ الذي يسعى لعَرَض من عروض الدنيا ، يتخذ أشدّ الاحتياطات ليبلغ مسعاه وغايته ، فكيف إذا كان الأمر ليس لعرض من عروض الدنيا ، وإنّما لقضية فيها وحدها نجاته من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة ، لقضية هي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، هي القضية التي بعث الله الأنبياء والمرسلين بها .

فاللغة العربية إذن لغة الوحي ، ولغة النبوّة الخاتمة ، ولغة القرآن الكريم ، فلا يكون القرآن قرآناً إلا بها ، ولغة الصلاة والدعاء المأثور وسائر الشعائر ، ولغة تبليغ رسالة الله ولغة تلقّيها . واللغة العربية هي اللغة التي تتميّز من سائر لغات البشر . إنها لغة الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها .

فإذا كانت اللغة العربية تتمتع بهذه المميزات والخصائص ، فكيف لا يُهْرع المسلم المؤمن الصادق في إيمانه وحبّه لله ولرسوله ولكتابه ولسنّة نبيه ، كيف لا يُهْرع لدراسة اللغة العربية حتى يتقنها في حدود وسعه ، وكيف يجوز له أن يؤثر عليها أي لغة أخرى في الأرض .

لذلك ترى أنَّ اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله ، فيصبح منهاج الله الذي جاء من عند الله وبلّغه رسول الله ﷺ ـ القرآن والسنَّة واللغة العربية ـ، مجتمعة معاً لا تفترق أبداً .

ولذلك نرى **أنَّ اللغة العربية يجب أن تكون هي اللغة الأولى في حياة كل مسلم ، لتكون لغة عبادته ولغة دعوته ، واللغة الأولى لأدبه ، وإنتاجه الفني ، ولتكون لغة العلم والفكر .**

وبذلك تكون اللغة العربية هي لغة الأمة المسلمة والدولة المسلمة ، ولغة

تعاملها الدولي . فهذه المسؤولية ، وهي مسؤولية كل مسلم ، هي أيضاً مسؤولية الأمة المسلمة بكل أجهزتها ومؤسساتها ، ليكون في ذلك وفاء الأمة المسلمة ودولتها بمسؤوليتها عن توفير كل فرصة ووسيلة لحسن تدبّر منهاج الله وحسن العبادة والخشوع ، وصدق العلم بدين الله من مصدريه الكتاب والسنَّة . وكذلك لتيسير الفرصة لتبليغ رسالة الله إلى الناس بأمانة ودقة ، وتوفير الفرصة لتلقي رسالة الله بصفاء وجلاء ، وأمانة ودقّة .

وإنها كذلك مسؤولية الدعوة الإسلامية والدعاء وعلماء المسلمين وأولي الأمر منهم ، ليضع هؤلاء النهج والخطة لمعالجة الواقع الحالي ، ولإعادة اللغة العربية إلى منزلتها الأمينة العادلة .

من أجل ذلك اعتبرنا اللغة العربية جزءاً من منهاج الله لا تفترق عنه ، لتكون هذه القاعدة أساس كل تخطيط ونهج ، على ضوء الأدلة التي قدّمناها من الكتاب والسنَّة في صفحات سابقة .

لذلك جعلنا اللغة العربية فقرة من بند المنهاج الرباني في نظريّة المنهاج الفردي الذي ندعو إليه ليكون منهجاً تطبيقياً لكل مسلم . وجعلناها كذلك فقرة في " **منهج لقاء المؤمنين** " ، فقرة من بند المنهاج الرباني وجزءاً منه .

ولا بدَّ أن نشير هنا إلى أن نظرية المنهاج الفردي أو الذاتي ، ونظرية منهج لقاء المؤمنين ، قائمتان على أساس من الكتاب والسنَّة وحاجة واقع المسلمين اليوم(١)

إنها أمانة كبيرة ومسؤولية عظيمة ، فلينهض لها المسلمون . إننا نستطيع أن نبدأ من البيت والأسرة ، حين يقوم الآباء والأمهات بواجبهم الشرعي والأمانة التي وضعها الله في أعناقهم ، فيربّون أطفالهم على التحدث باللغة العربية الصحيحة ،

---

(١) تراجع الكتب التالية للمؤلف : منهج المؤمن بين العمل والتطبيق ، لدراسة نظرية المنهاج الفردي ، وكتاب منهج لقاء المؤمنين ، لدراسة نظرية هذا المنهج ، وكتاب : النظرية العامة للدعوة الإسلامية – نهج الدعوة وخطة التربية والبناء ، وكتاب : دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية .

ويتعاملون معهم بها ، حتى يسهل عليهم بعد ذلك تلقيها بياناً وقواعد وأدباً ، شعراً ونثراً .

ويجب على المدرسين في مختلف المعاهد ألا يستعملوا إلا اللغة العربية الصحيحة في تدريسهم . ثمَّ تمتدُّ هذه القاعدة في واقع الأمة .

والدعوة الإسلامية يجب أن تكون أول من يدرك خطورة هذه القضيّة وأهميتها وأهمية التخطيط لها . يجب أن نعي الواقع وندرك أننا بعيدون عما يجب أن نكون عليه وما نحبُّ أن نكون عليه في هذه القضية . ولذلك لا بدَّ من وضع نهج وخطة عملية تمارس في الواقع ، لتعالج هذا الخلل الكبير . وحين يبدأ الدعاة بحزم ويقين ، يمدّ الله الدعاة بعونه ويفتح لهم أبواباً من النصر كثيرة ما ظلُّوا صادقين عاملين صابرين .

وحين نعرض في كتب الدعوة نهجاً من أجل ذلك ، فإنَّ هذا النهج يظل قابلاً للنمو والتطور كلما صدقت النية والعزيمة . ولذلك نوجز ملامح هذا النهج بنقاط :

١ـ اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله .

٢ـ اللغة العربية ، بناء على ذلك ، تكون فقرة من بند المنهاج الرباني في نظرية المنهاج الفردي . وتكون عناصر دراستها الأولية : القواعد من نحو وصرف ، البلاغة وعلومها ، الأدب ، والخط .

٣ـ وتكون اللغة العربية فقرة كذلك في نظرية " منهج لقاء المؤمنين " على نفس الأسس التي هي فيه في نظرية " المنهاج الذاتي أو الفردي " .

٤ـ لا يجوز التحدث في منهج لقاء المؤمنين إلا باللغة العربية الصحيحة.

٥ـ مصاحبة منهاج الله صحبة منهجية صحبة عمر وحياة أساس في إتقان اللغة العربية ونمو الإيمان وزيادة العلم .

٦ـ التزام جميع المسلمين حيثما كانوا في العالم الإسلامي أو غيره ، بأن تكون

اللغـة العربيـة هي اللغـة الأولى في المؤتمرات الإسلامية والمحاضرات وجدول الأعمال والنشرات وغير ذلك .

٧ـ الاستفادة من جميع الإمكانات المتوافرة في الأمة لمتابعة النهج والتخطيط لتحقيق هذا الهدف العظيم مصاحباً لسائر أهداف الدعوة الإسلامية ، سواء أكانت الأهداف أهدافاً مرحلية أم أهدافاً ربانية ثابتة ، أم الهدف الأكبر والأسمى ـ الجنة والدار الآخرة ورضوان الله .

ويظل تعاون المسلمين باختلاف أقطارهم واختلاف حركاتهم الإسلامية عاملاً هاماً في تحقيق هذا الهدف في الواقع ، ويظل التمزّق عاملاً مهدماً وعائقاً كبيراً .

نعيد ونؤكد ما سبق أن قلناه من أن الهدف في أن تكون اللغة العربية ودراستها اللغة الأولى في حياة كل مسلم في الأرض حيثما كان ، هو هدف إيماني. ذلك أنَّ اللغة العربية لم تعد لغة قومية فحسب ، وإنما قفزت قفزةً عالية وانتقلت نقلة واسعة منذ بُعث محمد ﷺ لتصبح لغة رسالة الله إلى العالمين ، لغة الوحي والنبوة الخاتمة ، لغة القرآن والسنة . إنها لغة الإسلام ، لغة الأمة المسلمة كلها .

إنَّ اللغة العربية جزءٌ من كيان المسلم كله . جزء من شخصيته وهويته وفكره ورسالته في الحياة . حين يترك المسلم لغته العربية ، وحين يهجر الكتاب والسنّة ، وحين يضعف إيمانه أو يضطرب ، فإن مثله كمثل الإنسان حين نجرّده من ثيابه وننزع عنه لحمه ونرميه عظماً على جانب الحياة ، لا يعرف الناس جوهر هويّته ، ينكرونه ، ولكن تقبل عليه دوابُّ الأرض من المفسدين والمجرمين تأكل منه وتنخر فيه . حين يفقد المسلم لغته العربية فإنه يفقد الكثير الكثير ، ويُعرّض نفسه لخسارة بعد خسارة ، وقد يمتدُّ الأمر إلى خطر عظيم عرضنا بعض ملامحه في صفحات سابقة .

فليمض المؤمنون الصادقون إلى نصرة ربهم ونصرة دينهم ولغة دينهم التي اختارها الله لهم ، على نهج واضح وخطة واعية ، عرضنا نموذجاً لها في كتب الدعوة ، فليمْضوا إذا صدقت النيّة وصحّت العزيمة وصدق النهج والتخطيط ، فليمضوا مطمئنين إلى أنَّ الله ناصر دينه ولغة دينه والدعاة الصادقين العاملين إلى ذلك . فليمضوا ، ففي ذلك نجاتهم في الدنيا والآخرة .



الخاتمة

قصيدة لغتي الجميلة

الخـاتـمة

قصيـدة

" لغتــي الجميلـة " *

مالــي خَلَعْـتُ ثيـابي وانْطَلَقْـتُ إلى ... ســواي أَســأَلُه الأثــوابَ و الحُـلَـلا

قَـدْ كـانَ لي حُلَـلٌ أَزْهـو ببْـهجَتِـهـا ... عــزّاً وَيَزْهو بهـا مَنْ حَلَّ وارْتَحَـلا

أَغْنى بهــا ، وتَمدُّ الـدفْءَ في بَدَنـي ... أَمْنـاً وتُطْلقُ منّي العـزْمَ والأَمَــلا

تمــوجُ فـيــها الـلآلي منْ مـآثرهــا ... نوراً وتبْعَـثُ منْ لألائهـا الشُّعَــلا

حتى أفاءتْ شُعوبُ الأَرْضِ تَسأَلُها ... ثـوباً لتسـتُرَ منْها السُّوءَ و العـلَلا

مـدَّت يَدَ الجـود كَنْزاً منْ جَـواهرهـا ... فَـزَيَّنَتْهُـم وكـانـوا قـبلـها عُطُـلا

جـادتْ عليـهم وأوفَـتْ كلَّ مسْألـةٍ ... بــرّاً تَـوالى ، وأوْفَـتْ كلَّ مَنْ سَـألا

* * * * *

هذا البيــانُ وقـدْ صـاغـتْـهُ مـعْـجزةٌ ... تمضي مع الدّهرِ مجْداً ظلَّ مُتَّصلا

تكسو منَ الهـدْي ، منْ إعجازه حُللاً ... أو جَوْهَراً زيَّنَ الأعطافَ والعَطَـلا[1]

نســيـجُـه لغـةُ القَـرآن ، جَـوْهــرُهُ ... آيٌ مــنَ الله حـقّـاً جَـلّ واكْـتَـمـلا

نبعٌ يفـيـضُ على الدّنيـا فـيـملـؤهـا ... ريّـاً ويُطـلقُ منْ أحواضه الحَفَـلا[2]

أو أنه الروّضُ يُغْني الأرضَ منْ عَـبَق ... مـلْءَ الزَّمـان نديّـاً عـودُهُ خَـضـلا

تَـرفُّ منْ هَـدْيه أنـداءُ خـافــقَـةٍ ... معَ البكـور تَمُـدُّ الفَيْءَ و الظُّـلَلا

وكـلُّ مَنْ لوّحَــتْـه حَـرُّ هـاجـرةٍ ... آوى إليـــه ليلْقـى الـرّيَّ و البَـلَلا

* * * * *

(*) للدكتور عدنان النحوي .

(١) العَطَل : العنق .

(٢) الحَفَلَ : الماء واللبن .

عجبتُ !! ما بالُ قومي أدبَروا وجَرَوْا ... يرْجـونَ ساقطـةَ الغـايـات والهَـمَـلا
لمْ يأخـذوا منْ ديارِ الغـرْبِ مكرُمـةً ... منَ الصناعـة أوْ علمـاً نَمـا وَعَـلا
لكنّهـمْ أخـذوا لَـيَّ اللّسـانِ وقـدْ ... حباهُمُ اللهُ حُسْنَ النُّطْقِ مُعْتَـدِلا
يـا ويحـهمْ بـدَّلوا عيّـاً بفصحـهـمُ ... وبالبيـانِ الغنيِّ استـبدلـوا الزَّلَـلا
إن اللّسـانَ غـذاءُ الفكـرِ يحْـمِلُـهُ ... علْمـاً وفنّـاً صـواباً كـانَ أو خطَـلا
يظلُّ ينسـلُّ منـه الـزّادُ في فطَـرِ ... تلقى بـه الخَـيْـرَ أو تلقى به الزَّلَـلا
الأَعْـجَـمـيُّ لسـانٌ زادهُ عَـجَـبٌ ... تَـراهُ يَخْلِـطُ في أَوْشـابِـه الجدَلا
لمْ يَحْمِلِ الهـدْيَ نـوراً في مَصادرِه ... ولا الـحقـيـقـة إلا كـانت الـوَشَـلا

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فـحسبُنـا منْ لِسـانِ الضّـادِ أنّ لـه ... فيضـاً من النّور أو نبعاً صَفا وجَلا
وأنه اللغة الفـصحى نمـت وزهـتْ ... مَـعَ النّبُـوَّة تاريخـاً لهـا وعُـلا
حَتّى أتى الوحْـيُ قُرآنـاً ومُعْجـزَةً ... تنزّلـتْ وبـلاغـاً بالهُـدى نـزلا
وأنـه ، ورسـول الله يُـبـلـغـه ... ضمَّ الـزمـان وضمَّ الآيَ وَالـرُّسـلا
وأنـه الكنـزُ لا تفنـى جـواهـرهُ ... يُغْنـي الليـاليَ مـا أغْنى بهِ الأُوَلا
يظـلُّ يُـطْلـقُ مـن لألائـه دُرراً ... عـلى الزمـان غنيَّ الجـود مـتـصـلا
وأنّـه لـغَـةُ الإنْسَـانِ عـزَّ بـهـا ... ديـنـاً لـه خاشـعـاً لله مُـبْـتَـهِـلا
وأنّـه حكْمَـةُ الـرَّحْـمـن بالـغَـةٌ ... لَمّـا ارتضـاه بَيـانَ الحقِّ والمُثُـلا
وأنّـه عَـربـيُّ النَّبْـتِ فَـانْطلقَـتْ ... به الرسَـالـةُ للدُّنيـا هُـدىً وعُـلا
فـصـار بـالحـقِّ آيـاتٍ مـبـيِّـنـةً ... لسـانَ كلِّ تقِـيٍّ بالهُـدى اعْـتـدلا

آخَى عَلَى الحـقَّ والإيمـان أفْـئـدَةً ... من الشُّعوبِ وآخى العَـزمَ والأَمَـلا

شـرْعـاً مِنَ اللهِ يَبْنـي العَـدْلَ بينَهـمُ ... أَمْنـاً ويَنْـزِعِ عَنْهُ الرَّوعَ والوَهَـلا

حـتى تَعـودَ إلى الإِنسـانِ عِـزّتُـهُ ... إذا أَنـابَ إلـى الرَّحـمـن وامْـتَـثَـلا

* * * * *

فـعُـدْ إلى لغـةِ القـرآنِ صـافـيَـة ... تَجْلو لكَ الدَّربَ سهْلاً كانَ أو جبـلا

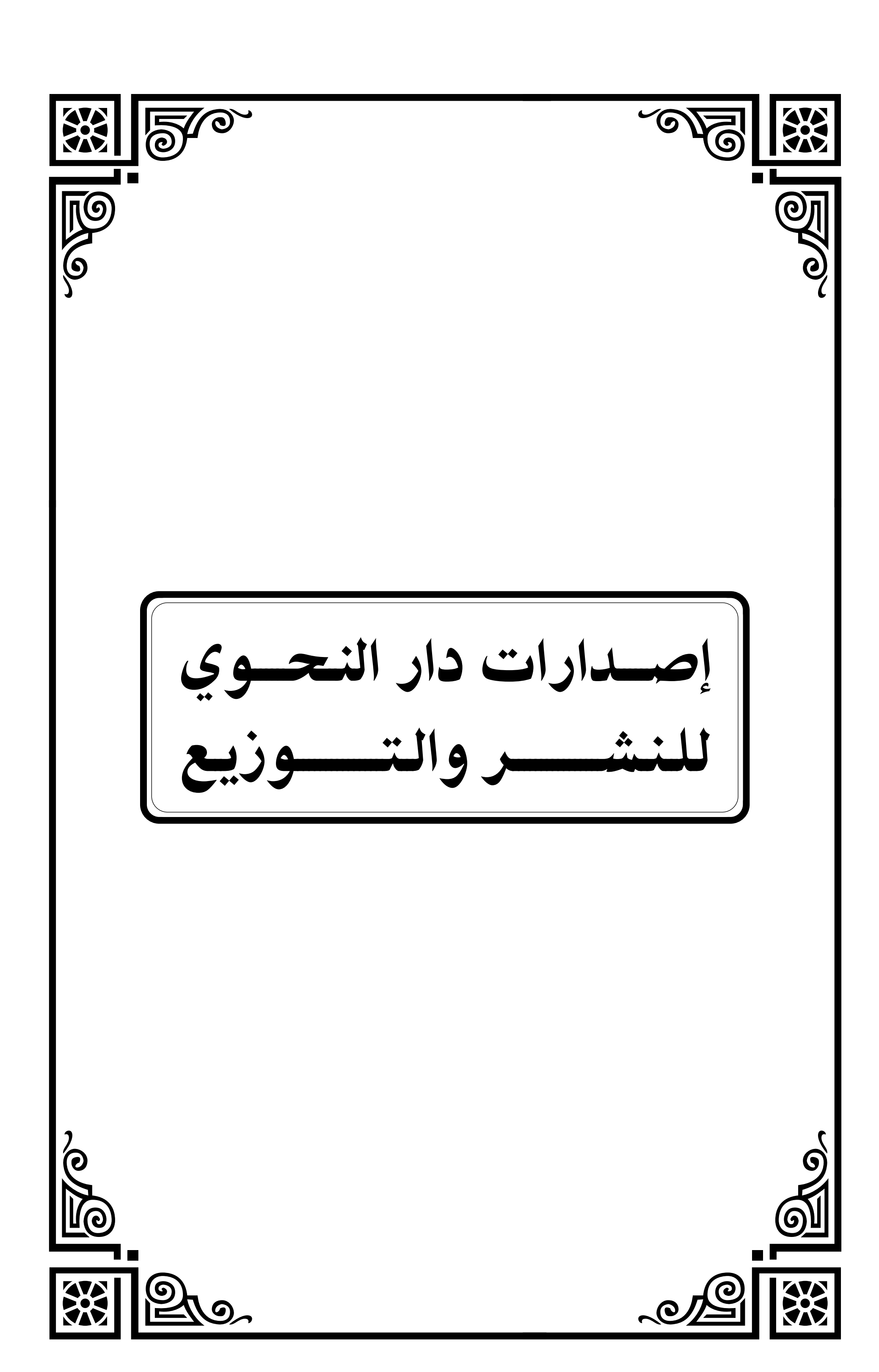
تجلو صـراطـاً سَـويّاً لا ترى عِـوجـاً ... فـيـه ولا فـتنـةً تَـلْقـى ولا خَـللا

تجـلو سـبـيـلاً تـراهُ واحـداً أبـداً ... وللمُـضـلّين تلْقى عنـدهُمْ سُبُـلا

* * * * *

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشرح الصدور ، ويشدَّ العزائم ، لننهض كلُّنا إلى هذه المهمة العظيمة في خشوع وإنابة إلى الله سبحانه وتعالى .

فهرس كتاب
اللغة العربية
بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء !


إصـــدارات دار النحـــوي
للنشـــــــر والتـــــوزيع

إصدارات دار النحوي للنشر والتوزيع

* مـؤلفـات الدكـتـور عـدنان علي رضـا النحـوي

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعـة
أولاً : كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية :		
١	موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين	ط ١
٢	موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين	ط ٢
٣	أضواء على طريق النجاة	ط ١
٤	النهج والممارسة الإيمانيّة في الدعوة الإسلامية	ط ٤
٥	كيف تلتقي الجماعات الإسلامية	ط ١
٦	الموجز الميسَّر عن مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن	ط٢
ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية :		
٧	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط ٦
٨	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط ٥
٩	النظرية العامة للدعوة الإسلامية – نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط ٣
١٠	منهج لقاء المؤمنين	ط ٢
١١	لقاء المؤمنين – أسسه وقواعده – الجزء الأول	ط ٥
١٢	لقاء المؤمنين – الأهداف – الجزء الثاني	ط ٤
١٣	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط٣
١٤	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الأول	ط ٢
١٥	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الثاني	ط ١
١٦	الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع	ط١
١٧	الإسلام أركان وبناء – تذكير ونصح	ط١
١٨	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط ١
١٩	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها	ط ١
٢٠	التربية في الإسلام – النظريّة والمنهج .	ط١
٢١	النهج الإيماني للتفكير	ط١

الرقم	اســـــم الكتـــــاب	الطبعـة
٢٢	عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام	ط١
٢٣	حتى نتدبّر منهاج الله	ط١
٢٤	حتى نغيّر ما بأنفسنا	ط١
٢٥	لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسئولية المسلم الذاتية (المنهاج الفردي)	ط١
٢٦	النهج في موضوعاته ومصطلحاته	ط١
٢٧	الموازنة وممارستها الإيمانية	ط١
٢٨	الاختلاف بين الوفاق والشقاق	ط١
٢٩	مواجهة المشكلات والأخطاء والتقصير وعلاجها	ط١
ثالثاً : كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج للدعوة والبلاغ والبيان :		
٣٠	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط ٣
٣١	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط ١
٣٢	النية في الإسلام وبُعدها الإنساني	ط ١
٣٣	النية إشراقَة في النفس وجمال	ط ١
٣٤	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط ٤
٣٥	الحوافز الإيمانيّة بين المبادرة والالتزام	ط ٤
٣٦	الخشـــــــوع	ط ٢
٣٧	النبي العظيم والرحمة المهداة محمد ﷺ	ط ١
رابعاً : كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع الإسلامي وأهم أحداثه وتعتبر الملاحم جزءاً من دراسة الواقع :		
٣٨	الشورى وممارستها الإيمانية	ط٤
٣٩	الشورى لا الديمقراطية	ط ٥
٤٠	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط ٣
٤١	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط ١
٤٢	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط ١
٤٣	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط ١
٤٤	المسلمون بين العَلمانية وحقوق الإنسان الوضعيَة	ط ١
٤٥	المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية	ط١

الرقم	اســـم الكتـــــاب	الطبعــة
٤٦	على أبواب القدس	ط٣
٤٧	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ٤
٤٨	عبدالله عزام أحداث ومواقف	ط ٢
٤٩	حوار الأديان – دعوة أم تقارب أم تنازل	ط ١
٥٠	الانحراف	ط ١
٥١	كيف ضيِّعت الأمانة التي خلقنا للوفاء بها ؟!	ط ١
٥٢	حرّية الرأي في الميدان	ط ١
٥٣	هذا هو الصراط المستقيم فاتَّبعوه !	ط ١
٥٤	المسلمون بين الواقع والأمل	ط ١
٥٥	تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات	ط١
٥٦	الرِّبـَــا وخطره في حياة الإنسان	ط ١
٥٧	الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات	ط ١
٥٨	هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات	ط١
٥٩	العولمة والإسلام	ط١
٦٠	الشريعة والحياة المعاصرة	ط١
٦١	فقه الاستشهاد في سبيل الله	ط١
٦٢	المرأة والأسرة المسلمة والتحديات في واقعنا المعاصر	ط١
٦٣	الإسلام والحرية وحرية المعتقد	ط١
	خامساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي ، وترد على المذاهب الأخرى :	
٦٤	الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته	ط ٤
٦٥	الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته	ط ١
٦٦	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط١
٦٧	أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية	ط١
٦٨	أدب الأطفال الإسلامي وأثره في تربيتهم العقدية الصحيحة	ط١
٦٩	التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف	ط١
٧٠	لماذا اللغة العربية ؟	ط١
٧١	الحداثة في منظور إيماني	ط٥

الرقم	اســـم الكتـــــاب	الطبعـة
٧٢	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط٣
٧٣	الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأَدب الملتزم بالإسلام	ط ١
٧٤	الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية	ط١
٧٥	الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره	ط١
٧٦	تجربتي الشعرية وامتدادها	ط١
٧٧	قراءة في قصيدة مهرجان القصيد أو الأدب الإسلامي	ط١
٧٨	الملحمة بين التصوّر الإيماني والتصور الوثني	ط١
٧٩	اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء	ط١
سادساً : الدواوين الشعرية :		
٨٠	ديـوان الأرض المباركـة	ط٦
٨١	ديوان موكب النور	ط٤
٨٢	ديوان جراح على الدرب	ط ٣
٨٣	ديوان مهرجان القصيد	ط٢
٨٤	ديوان عبر وعبرات	ط١
٨٥	ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل	ط١
٨٦	درة الأقصى	ط١
٨٧	أكثروا ذكر هاذم اللذات – أب يرثي ابنه	ط١
٨٨	أَين الجنى؟	ط١
سابعاً : الملاحم الشعرية وتعتبر جزءاً من دراسة الواقع وأحداثه :		
٨٩	ملحمة فلسطين	ط ٥
٩٠	ملحمة الأقصى	ط ٢
٩١	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط ٣
٩٢	ملحمة البوسنة والهرسك	ط ٢
٩٣	ملحمة الإسلام في الهند	ط ٢
٩٤	ملحمة القَسطنطينية	ط ٢
٩٥	ملحمة الغرباء	ط٣
٩٦	ملحمة أرض الرسالات	ط ١

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعـة
٩٧	ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين	ط ١
٩٨	لهفي على بغداد	ط ١
٩٩	ملحمة بين سجن «أبو غريب » ورفح	ط١
١٠٠	ملحمة أفغانستان	ط١
١٠١	ملحمة الطوفان "تسونامي"	ط١
١٠٢	ملحمة التاريخ ! قيام الدولة الإسلامية وسقوطها	ط١
ثامناً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
١٠٣	خطة الداعية (The Caller's Plan)	ط٢
تاسعاً : كتب في علوم أخري :		
١٠٤	دراسة الموجات الالكترومغناطيسية المتوسطة «بالإنجليزية»	ط١
عاشراً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
١٠٥	لقاء المؤمنين – الجزء الأول «ترجم إلى اللغة التركية »	ط ١
١٠٦	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع «ترجم إلى اللغة التركية »	ط ١
١٠٧	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع « ترجم إلى اللغة الإنجليزية »	ط ١
١٠٨	لماذا اللغة العربية « ترجم إلى اللغة الأوردية »	ط ١
أحد عشر : الصوتيات والمرئيات :		
١	أضواء على طريق النجاة	فيديو وكاسيت
٢	لمحة عن واقع المسلمين أمراض وعلاج	فيديو وكاسيت
٣	الإسلام أركان وبناء – تذكير ونصح	فيديو وكاسيت
٤	الأُسلوب والأُسلوبيّة	فيديو وكاسيت
٥	درة الأقصى	فيديو وكاسيت
٦	النيَّة إشراقة في النفس وجمال ويَقَظةٌ في القلب ووعي	كاسيت
٧	حديث النفس بين الدنيا والآخرة	كاسيت
٨	التعامل مع مجتمع غير مسلم	فيديو وكاسيت
٩	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه	فيديو وكاسيت
١٠	قضايا في الأدب الملتزم بالإسلام	فيديو وكاسيت
١١	المسلمون في الغرب بين الإسلام والعلمانية	فيديو وكاسيت
١٢	محاضرة الوصايا والمواعظ	فيديو وكاسيت

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعــة
١٣	ندوة شعرية – عمان	فـيـديو وكـاسـيت
١٤	ندوة شعرية عن فلسطين	فـيـديو وكـاسـيت
١٥	ندوة شعرية – جامعة قطر	فـيـديو وكـاسـيت
١٦	ندوة شعرية – مؤسسة (مركز) الملك فيصل	فـيـديو وكـاسـيت
١٧	محاضرة : «وحملها الإنسان»	كـــاســيت

*** كتــب لمؤلفــين آخــريــن :**

الرقم	اســـم الكتـــاب		الطبعــة
١	من ذخائر التراث الإسلامي	الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي	ط ١
٢	ملحمة بنت حواء المغربية	الدكتور عبدالرحمن عبدالوافي	ط ١
٣	معجم مصطلحات الأدب الإسلامي	الدكتور محمد بن عبدالعظيم بنعزوز	ط ١
٤	الإبدال والإعلال دراسة نظرية تطبيقية في قصيدة البردة	الدكتورة منيرة محمود الحمد	ط ١
٥	النفخ في الطين قفو الأثر في أسماء السور	الدكتور حسن الأمراني	ط ١
٦	قصيدة الإسراء	الدكتور حسن الأمراني	ط ٣
٧	ديوان أين الطريق	مصطفى حسن حمد الله النبالي	ط ١
٨	قالت لي أمي – قصة	أفنان سمير الحلو	ط ١

*** كتب للنشـر والتـوزيــع :**

الرقم	اســـم الكتـــاب		الطبعــة
١	مواقف من التاريخ العربي	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٢	موسوعة العالم في صفحات	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٣	موسوعة الـ١٠٠٠ سؤال في العلم والمعرفة	سليمان مصلح أبو عزب	ط ٤
٤	قطر والعالم الإسلامي – حقائق ومعلومات بيئية	سليمان مصلح أبو عزب وآخرون	ط ١
٥	بيضـة الديـك	يوسف الصيداوي	ط ١



دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢

موقع الانترنت : www.alnahwi.com

البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com

ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية

الجمع التصويري - جمع الكمبيوتر - والتصميم والإخراج الفني بالتعاون مع :

وكالة وادي العمران للدعاية والاعلان - الرياض - هاتف ٤٧٣٣٠٥٠ ـ فاكس : ٤٧٣٣٠٦٠ - جوال : ٠٥٠٣٢٠٧٣٥٠